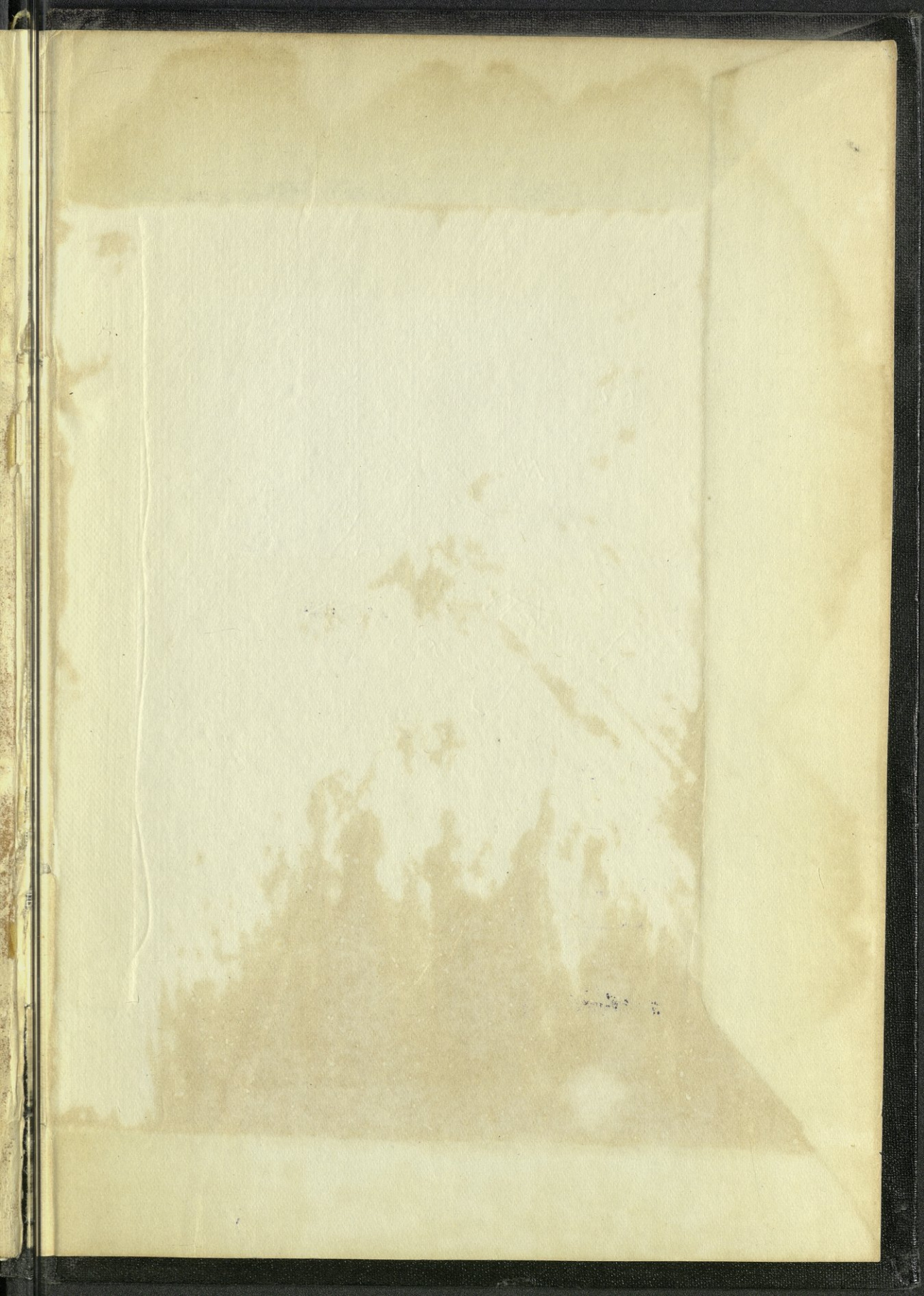


كودني

السيد



842.4: C81sA

C.2

كورني ، بيير *

السيد *

AUG 22

x 1078

FEB 29

R 326

842.4

C81sA

C.2.

~~1 - Oct 72~~

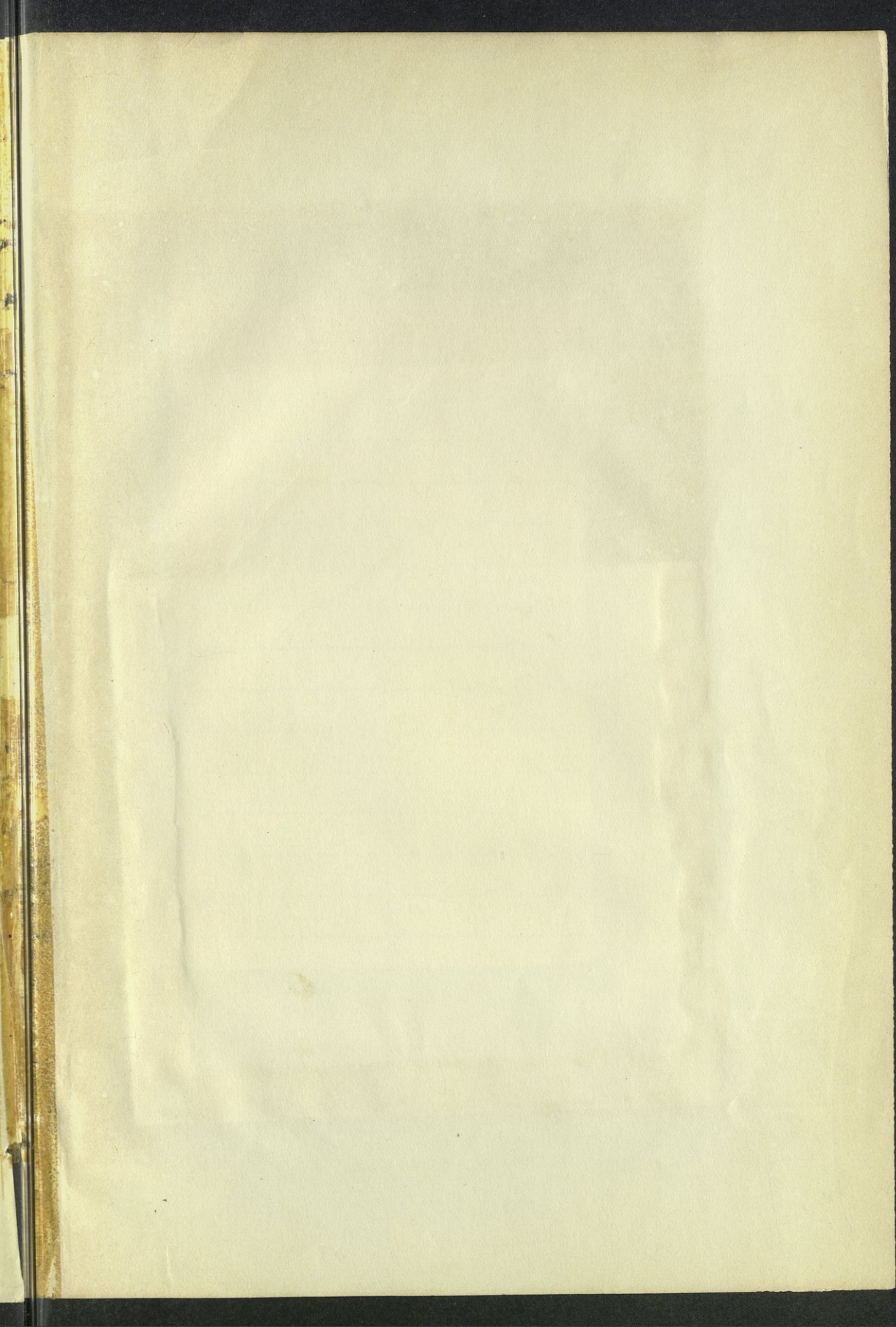
MR 13 '56

Y 19 '56

Y 25 '56

1 - Oct 68

~~1 - OCT 1970~~



تمهيد

لم اكن ادري أن القدر سيلقي على عاتقي عبء هذا العتاد
الثقافي يوم أن غادرت أرض الوطن الى بلاد المهجر أكدح في
مناكب الارض متغرباً زهاً اربعين عاماً

وجفأة بعد ان تساقطت فروع أسرة عبده مطران نعى اليّ البرق
شقيقي المغفور له شاعر الاقطار العربية خليل مطران بك . فلم اجد
بدأً من العودة الى الديار متخلياً عن كل عمل ، مستعيناً بجميع الوسائل
على تخليد هذا التراث الادبي والاجتماعي ، وقد وجدت في مريد
أخي وريثه الاديب الكبير الاستاذ السيد محمد ابو المجد الساعد
الايمن والعين الفاحصة والذاكرة الدارسة المستوعبة لجمع هذه
الاشتات ، واستنطاق تلك الاوراق ، وتبويبها وضبطها والتعليق عليها
والتقدمة بين يديها

وحسبي من الحياة اني اودعها ذمة الحقيقة والتاريخ ، ولا
يفوتني ان أسجل للعميدين العظيمين والصديقين الحميمين لأخي الدكتور
يوسف نحاس والوجيه يوسف توتنجي عظيم الشكر لما أبدياه من
خالص الودّ وجميل العون

البير مطران

- حق الطبع والنشر والتمثيل والإذاعة والإعادة محفوز للورثة •

842.4
C815A
c.2



السيدة

تأليف الشاعر الفرنسي كورني

تصريب

خليل مطران

حريصا - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

١٩٥١

المطبعة البولسية

٩٦ ص

1878
1879



مكتبة الجامعة

1878

فصل الحادي عشر

1878 1879

كلمة

في

مسرحية «السيد»

محقّق أن «مسرحية السيد» كانت في مقدمة الروائع التي من اجلها لُقّب «كورني» بأبي التراجيديا في فرنسا، اذ تفوّق بها على سائر واضعي الروايات في عصره فأكبره أولو الالباب، ولا عجب فقد ابتكر في المأساة صياغة لم يكن لهم بها عهد، معلياً شأن العقل على العاطفة، والحزم على الهوى، مقوّمأ أشخاص مسرحياته تقويماً إنسانياً رفيعاً، وكأنه يوحى بما يجب أن يتصف به الكائن الانساني في هذه الدنيا ويجري في الوقت ذاته على ألسنة شخوص مسرحياته كلاماً من السهل الممتنع لا يسمي بشرف أسلوبه وبلاغة عبارته

وقد اخذ «كورني» موضوع مسرحيته عن أصلين اسبانيين، قصصي وثنيلي، ولكنه تصرف في الموضوع تصرفاً بديعاً جعل فيه محور الحركة ضرباً من الحب لا تستقل به ألا أشراف النفوس ولا يتغلب في صراعه القلب على العقل، وآية ذلك الحب في لباب الرواية أن «لذريق» ينتقم لابيّه بقتله «الكنت» والد معشوقته على أن اول همّه في ذلك الانتقام هو أن تعلم «شيان» انه مع شدة شغفه بها لم يحجم عن الاخذ بثأره من أيها حذر

الاخلال بما يقتضيه الشرف، وخوف النزول من نفسها منزلة غير الكفء لها؛ وكذلك «شيان» من ناحيتها، فانها تتعقب حبيبها لتأخذ منه بثأر أبيها، على ان اكبر باعث في ضميرها لتلك المقاضاة بلا رحمة ولا هوادة هو ألا يجد «لذريق» منها وهنا بغرامه، فهما بحيث لو قصر احدهما في تلبية داعي الشرف، لعدّه صاحبه غير جدير بموقعه من كرامته وهواه . وفي نهاية هذه المصاولة النبيلة بينهما ينتصر الواجب على الحب، والعقل على الهوى

هذا التحليل المعنوي في مقومات بطلي الرواية سبق به «كورني» معاصريه، وناهيك من عجب فيه بأن التنافس بين الشئام والشم، متحاذية أو متعارضة او مصطدمة، يؤثر في نفوس الجمهور ما لا تؤثر فيه المواقف المحيرة، والحوادث المفاجئة، والطوارئ الفاجعة التي تتتابع لمجرد استشارة الجمهور

فللمزايا السابق تلخيصها أخذت مسرحية «السيد» منذ بدئتمثيلها مترلتها من الجمهور، فأعظموها وضربوا بها المثل في الروعة، فقليل في كل شيء، بلغ الغاية من الحسن: «هو جميل كالسيد»

وقد ظلت هذه المسرحية على طول المدى وبعد العهد وتحول الاذواق، يعاد تمثيلها على المسارح فتصيب حظها من رغبة الجمهور في الاقبال عليها، والرضى عنها؛ ولا غرور فإن كل ما تصدر به العبقرية عن مصادر الجمال الفني العريق يكون ذا جدّة لا تبلى، وروعة خالدة الأثر في كل زمان ومكان

قدّمت الفرقة القومية هذه المسرحية لأول مرة بدار الاوبرا
الملكية في عام ١٩٣٦، وتولّى اخراجها على المسرح الاستاذ العبقري
« زكي طليمات » عميد المعهد العالي لفن التمثيل العربي، والمدير الفني
للفرقة المصرية، ومراقب شؤون التمثيل لوزارة المعارف

السيد محمد ابو الجعد



اشخاص الرواية

دُن فرناند	: ملك مقاطعة قشتالة
دن دياج	: والد «لذريق» ومرشد لامبر قشتالة
دن غوميز (الكنت)	: سيد مقاطعة جورماس ووالد «شيان»
دن رديك (لذريق)	: حبيب «شيان» ويود الاقتران بها
دن سنش	: ينافس «لذريق» في حب «شيان»
دن أرياس	شريفان من اشراف المقاطعة
دن أأنس	

السيدات

دونا اوراك	: بنت الملك دن فرناند ملك «قشتالة» وتنافس «شيان» في حب «لذريق»
شيان	: بنت «الكنت دن غوميز»
ليونورة	: مربية «بنت الملك»
الثيرة	: مربية «شيان»
وصيف	

- القرن السابع عشر -

الفصل الاول

المشهد الاول

شيان - الفيرة

شيان : أي الفيرة، هل خبرتني الخبر اليقين، ولم تخفي علي شيئاً مما قاله أبي ؟

الفيرة : كل جوارحي ما زالت تهتزّ طرباً لما سمعته منه، وان مكان لذريق من رعايته مكانه من حُبِّك، فَأَلَمْ اكن قد خدعت في استطلاع طلع نفسه، فهو سيتقدم اليك بأن تجيبه الى هواه

شيان : إذن اعيدي علي، ولك الشكر، ما استدلت منه على انه يستصوب اختياري، ثم زيديني علماً بما أنوط به املي، فليس هذا الحديث العذب مما يمج تكراره، وما من بشرى أحب إليّ والى من أحب، من بشرى انطلاق اللواعج الكمينه فينا يوماً، وشبوبها في الرائعة . وبم اجابك عن المنافسة اللطيفة التي يتنافسها لديك دُن سنش ودن لذريق ؟ او لم تُظهري له، بما ينفي كل ريب، ما بينهما من تفاوت ينجح بي الى احدهما ؟

الفيرة : لا ... بل وصفتك له وصف الواقفة منهما موقفاً لا يشيد أملاً ولا يهدم أملاً، والناظرة اليهما نظرات لا مجافية ولا مواتية، تقرب امر ابها في اصطفا، قرين لها . ولقد سرته منك

هذه الرعاية لشأنه سروراً تجلت آياته وشيكاً على فمه ومحياه .
 وما دمت مشوقة الى سماع ما اردده من هذا الحديث فدونك
 ما قاله لي عاجلاً عنك وعنهما : « هي في حد الواجب ؛
 وكلاهما كف ، لها ، كلاهما من عنصر كريم فيه الشجاعة والوفاء .
 وكلاهما مقتبل الشباب ، تتلأأ في عينيه زواهر الفضائل التي
 تحلى بها اجداده الأمثلون ، أخص بالذكر دن لذريق ، فما من
 مخيلة في وجهه الا وهي اجمل صورة لمروءته ؛ تحدر من اصل
 كثر فيه عديد احلاس الحرب ، حتى لكانهم يولدون بين اغصان
 الغار ؛ أبوه تفرّد في زمانه ، بين أقرانه الصناديد ، ببأس لزمه ما
 لزمته قوته ، فضربت به الامثال ؛ خطت معاركه آياتها في
 غضون جبهته ، فهي تحدثنا الى اليوم عما كان شأنه في عصره ؛
 ورجائي ان أرى من الولد ما رأيته من والده ، فلا حرج على
 بنيتي من قبلي ان تمنحه هواها . » قال هذا وقد حانت ساعة
 انصرافه الى المجلس ، فقطعت ذلك الحديث قبل مضيه فيه ،
 ولكنني استخلص من هذه الكلمات القلائل ان فكره غير
 متردد كثيراً بين الخاطبين . ينظر الملك اليوم في اختيار مرشد
 لابنه ، والى أبيك سيسند هذا المقام السامي ، ذلك لا ريب
 فيه . فإن لم يكن له نظير في البأس والاقدام فهو اليوم بلا
 مناظر ، وحقيق به ان يقلد ذلك المنصب . ولما كان دن لذريق
 قد أقنع أباه بمفاتحة أبيك في هذا الشأن عند انفضاض المجلس ،

فاغتبطي بحسن انتهازه للفرصة ، وابتهجي بتحقيق آمالك
عن كذب

شيان : بيد انه يغشى نفسي من الريب ما يغشى ، فهي تخشى هذا
السرور ، وتنوء بوقره

قد تطراً طارئة بنت ساعتها تغير وجوه الاقدار
وانني لأوجس خيفة من فشل كبير ينجلي عنه هذا السعد
الكبير

الفيرة : سترين كيف تنجلي خشية الفشل عن برد الأمل
شيان : هلمي بنا نرقب المصير ، وليكن ما يشاء الله

المشهد الثاني

بنت الملك - ليونورة - وصيف

بنت الملك : إذهب يا وصيف إلى شيان من قبلي ، ونبهها الى انها
اليوم تباطأت عن زيارتي ، وأبلغها ان مودتي تأخذ عليها تمهلها
(يتوارى الوصف)

ليونورة : مولاتي ... تجد بك الرغبة كل يوم ، فتسألين شيان
ما لقيتها عما أفضت اليه في غرامها

بنت الملك : لا اسألها لغير ما سبب ، أنا التي اهدفتها او كادت
للسهام التي أدمت مهجتها ، فهي تحب دن لذريق وانا التي

أهدته اليها، وعلى يدي تمكن ان يستنزلها من معتصمها . فأما وقد
أبرمت بينهما اسباب هذا الغرام، فيعنيني ان أرى نهاية ما
يكابدان من الجوى

ليونورة : على انك يا مولاتي كلما لاحت بارقة نجاح تبدين اسفأ
حتى يعود جزعاً، فهل ذلك الحب الذي يملأ قلبيهما جذلاً
يوقد في قلبك جذوة تمسّ الصميم؟ وهل تلك العناية السمحة
بهما تشقيك في حين تسعدهما؟ اراني قد جاوزت حدي،
وافضيت الى الفضول

بنت الملك : يضاعف حزني انني لا ابوح به . أصغي اليّ - نَفَدَ
صبري - واعلمي اي جهاد جاهدت، واي كفاح ما زلت اكافح
حتى لا تخونني عزيمتي . الغرام طاغية لا يبقى على احد، وهذا
الفارس المقتبل الشباب، هذا العاشق الذي اهديه الى سواي،
أحبه

ليونورة : تحبينه !!

بنت الملك : ضعي يدك على قلبي، وتحسسي كيف يخفق لذكرى
مالكه وكيف يعرف سلطانه عليه

ليونورة : اغتفري لي يا مولاتي أن أنخطى واجب الاجلال،
واخطئك في هذا الهوى . أتتأدى اميرة عظيمة في تناسي مقامها
حتى تفسح مكاناً في قلبها لفارس من عامة الفرسان؟ وماذا

يقول الملك؟ وماذا تقول قشتالة؟ أتذكرين، أم غاب عنك،
بنت من أنت؟

بنت الملك : أذكر ذلك، ولن يغيب عني أو اسفك دمي قبل أن
اسفّ الى ما دون منزلتي، على انني لو التمسست المعاذير لصبوتي
لاجبتك بان من أبلغته نفسه العليا حقيق بأن يقع له من
ذوات النفوس الزكية ما لا يقع منهم لأنداده بالمناسب،
ولاستعنت بألف مثل شهير على الترخص في هذه الاستباحة،
غير انني لا اريد ان اقتدي بقدوة تمس شرفي، ولن امكّن
سورة حواس من التغلب على إباتي، بل اقول لنفسي في كل
آن انني بنت ملك وان كل رجل ما لم يكن رب تاج غير
كفء لي . فلما وجدت ان قلبي قد اوشك ان يفقد منعه،
اعطيت بيدي ما لم اكن لاجسر على اخذه بيدي، فجعلت
شيمان بمكاني منه، وقيدتها بقيوده، وأوقدت نيرانها لاطفى
نيراني، فلا تعجي من ان نفسي المعذبة ترقب قرانها بذهاب
الصبر

ومن ثمّ ترين ان راحتي بعد اليوم منوطة بهذا الزواج .
يحيا الحب بحياة الامل، ويموت بموت الامل

هو ضرام يأكل نفسه ان لم يجد ما يأكل . لشد ما اعانيه
من تبريح المحنة التي انا فيها، فإذا عُقد لشيمان على لذريق
يوماً قضي على أملي، وشفي عقلي

على انني في هذه الاثناء اكابد ما لا تدركه الظنون،
والى ان يتم ذلك القران سيظل لذريق هواي، اعمل لفقده،
واجزع لفقده ومن هنا مبعث شجوني، وان اخفتها شوؤني
فوا حرّ قلباه من الغرام، يصعد انفاسي الحرّى شوقاً الى من
ازدرية، اشعر بقلبي وقد انشقّ شغافه، فشطّر بالشجاعة علا،
وشطّر بالصباة استعر

هذا الزواج قضاء عليّ فأخشاه واتمناه، وغاية ما آمل منه
ليس الا سروراً منقوصاً

شرفي وحيي يتنازعان لي

وسواء عليّ أتمّ ذلك القران أم لم يتمّ، فان نهاية حياتي
احدى النهايتين

ليونورة : بعد هذا يا مولاتي لم يبق لي ما اقول سوى انني اجد
ما تجدين وأخذ من حزنك بنصيب

كنت لك عاذلة فأصبحت عاذرة . وما دام في هذا المعترك
العذب المرير لك جلد تدراين به صدمات الهوى، وتبطلين
سحره، فهو سيعيد اليك صفاءك، ويجمع شتيت أفكارك،
فارجي منه كل خير بمعونة الزمن، وارجي كل خير من الله
جلّ عدله عن الإغضاء عنك طويلاً، وأنت تعانين ما تعانين
في الذود عن عرضك

بنت الملك : اشهى رجاء الي هو أن أبقي بلا رجاء

الوصيف : امثلاً لامرك حضرت شيان

بنت الملك : (الى ليونورة) اذهبي واجلسي اليها في هذا الرواق

ليونورة : أتبعين ان تمضي في هيام فكرك ؟

بنت الملك : لا ، وانما أبغي على الكره مني خلوة يسيرة لتطرية وجهي وسألق بك

يا رباه . من اية يد استمد دوائي ، أدركني من شقوة
تمادت ورفه عني . اعد الي السكينة ، وايد شرفي . انا أئشد
سعادتي في سعادة غيري . نحن ثلاثة يعنيههم هذا القران في
آن ، فعجل تحقيقه أو شدد عزمي ، فان ارتباط هذين العاشقين
برباط الزواج يحطم قيودي ويمسح آلامي . ابطأت على شيان
فلأمض للقاءها ، ولأروح عني بجديتي معها

المشهد الثالث

الكنت - دن دياج

الكنت : لقد آل اليك الحظ الأوفر ، ورفعتك نعمة الملك الى
منصب كنت انا الأحق به ، فجعلك مرشداً لأمير قشتالة

مؤرباً

دن دياج : هذا الشرف الذي أكرم به أسرتي يدلّ على أنه عادل،
ويقدر ما قدمت من الخدمة حقّ قدره

الكنت : مهما يكن الملوك كباراً فهم ونحن شيء. أحد، يجوز ان
يخطئوا كما يخطئ سائر الانام، وهذا الاختيار يقوم دليلاً لدى
جميع المقربين على ان الملوك لا يحسنون جزاء الخدم العتيدة

دن دياج : لندع الكلام في اختيار يشير بك الحفيظة، فقد يكون
عن عطف، وقد يكون عن جدارة، وعلى الحالتين يجدر
بنا، اجلاً للسلطان المطلق، ألا نبحث في أمر وقد اراده
الملك . أتريدني شرفاً على الشرف الذي اضافه اليّ الملك
فتصل بين بيتي وبيتك بصلة مقدسة : ليس لك إلا بنت،
وليس لي إلا ولد

فإذا اقترنا سمّت صداقتنا الى قربي لا تنفصم . أولنا هذا
الفضل واتخذ ولدي صهراً لك

الكنت : حقيقٌ بهذا الشاب الجميل أن ينظر الى ما هو اسمي،
وخليق بالبهرج الجديد الذي زانك به منصبك ان يشغل قلبه
بمطمع، فامض في شأن منصبك يا سيدي، وارشد الامير،
أره كيف يصرف شؤون دولته، ويخضع شعوباً عن يدٍ
لأحكام قانونه، ويفعم قلوب الاخيار محبة، وقلوب الشرار
رهبة . ثم اصف الى تلك الفضائل مزية قائد الجيوش فين له

كيف يجب ان يصبر على المكاره، وان يتفوق على الانداد
في صناعة القتال، وان يقضي الايام والليالي الطوال على صهوة
جواده، وان يستريح مثقلاً بأسلحته، وان يخترق الاسوار،
وان يأبى النصر إلا وهو كاسبه

دربّه بقدوتك، وابلغه الى الكمال، شارحاً له دروسك
بوقعات يشهدها، وشواهد منك تؤيدها

دن دياج : حسبه أسوء - وان كره الحاسدون - ان يطالع سيرتي
وجريدة احسابي، ويتابع السلسلة الطويلة من جسام فعال
فينجلي له كيف يروض الشعوب من عصيان، ويهاجم الحصون
ويعيى الفياتق، ويشيد شهرته البعيدة على ملاحم مجيدة

الكنت : ان للقدوة الحية لسلطاناً آخر

لا يحسن الامير استذكار واجبه ان يقرأه في كتاب .
وبعد فهل فعلت في ذلك الرده الطويل من دهرك ما لم
تضارعه فعال في يوم من ايامي، لقد كنت شجاعاً واني لكائه
اليوم، هذا الساعد هو أقوى ركن للمملكة

ترتعد غرناطة والأرغون حين انتضي حسامي

ويقوم اسمي مقام السور المنيع دون قشتالة . لولاي لانتقلتم
عاجلاً من ولاية قوم الى ولاية آخرين، ولأصبح اعداؤكم بين
ليلة وضحاها ملوكاً عليكم

كل يوم او بعض يوم يضيف الى مجدي غاراً فوق غار،
وفوزاً بعد فوز. ولو وجد الامير بجاني في الحومات لارتاض
بأسه في ظل ذراعي، ولتعلم النصر وهو يشهد نصراتي،
ولاستكمل وشيكاً خلقه العظيم برؤية...

دن دياج : اعرف انك تحسن القيام بخدمة الملك، وقد نظرتك
تكافح وتقود الجنود تحت إمركي، فلما علت سني، وأسأل الشيب
صقيعه في اعصابي، احلّتك بسالتك النادرة احلالاً كريماً في
مكاني؛ وعلى الجملة وتنكباً عن الفضول، انما انت اليوم ما
كنت انا بالأمس، غير انك رأيت في سانحة هذا اليوم ان
الملك وجد موضعاً للتمييز بيني وبينك

الكنت : قد غصبت مني ما كنت به أولى

دن دياج : انما آب بالغنم من كان به أولى

الكنت : كان الاقدر على هذه المهمة بتوليها اجدر

دن دياج : لامر ما لقيت المنع بدلاً من المنح

الكنت : اظفرك بالمنصب ظهراؤك لقدم عهدك بالزلفي

دن دياج : لم يكن لي ظهيراً الا ما سطع من آيات إقدامي

الكنت : لنذكر بالاحرى ان الملك راعي كبر سنك

دن دياج : اذا منح الملك رفعة قاسها الى الكفاية

الكنت : ومن ثم كنتُ احق منك بتلك الرفعة

دن دياج : من لم يحرزها لم يكن اهلاً لها

الكنت : لم يكن لها اهلاً... أنا؟

دن دياج : أنتَ

الكنت : دونك ايها الهرم الجسور جزاء قحتك (يلمطه على وجهه)

دن دياج : (آخذاً سيفه بيده)

أنجز واجهز عليّ بعد هذه الالهانة . هي اول وصمة ندي لها

جبين في اسرتي

الكنت : ما انت فاعل مع ما يقعد بك من العجز ؟

دن دياج : يا رباه . ان قوتي المتلاشية لتخونني في هذا الموقف

الكنت : (مسقطاً بطرف سيفه سيف خصمه)

سيفك لي... ولكنك قد تفخر وترهى لو حملت بيدي

هذا السلب المخجل . وداعاً... أقرى الامير - وان كره

الحساد - سيرة حياتك لاستكمال تهذيبه، وهذا العقاب الذي

عوقبت به عن هُجرك في القول لا يدع ان يزيد تلك السيرة

حلية صغيرة

المشهد الرابع

دن دياج

دن دياج : يا للحق ٠٠٠ يا لليأس ٠٠٠ يا للشيخوخة القهارة ألم تمتد بي
ايامي إلا لتعلق بي هذه السُّبَّة ، او لم أشبَّ متمرساً بآفات
الحروب ألا لأرى في يوم كل ما علاني من اكاليل الغار
ملطخاً بالعار

أساعدي الذي تكبره اسبانيا جميعاً ، اساعدي الذي انقذ
هذه المملكة من كل كريمة ، وثبت عرش صاحبها كلما
تداعى ، يخونني اليوم في خصومتي ولا يجديني فتيلاً ؟

يا للذكرى الاليمة ، ذكرى مجدي السالف الذي بني في ايام
عداد ، وتقوَّض في يوم واحد

يا منصبي الجديد الذي كُبا به طالع سعدي ، فكان مهبطاً
باذخاً سقط من عليائه شرقي

احقّ عليّ ان ارى الكنت بعدوانه يطفئ سنائك ، وان
اموت بلا انتقام او اعيش في شنار ؟

ايها الكنت : كن بعد هذا اليوم مرشد اميري

هذا المقام السامي لا يفسح لرجل ثلم شرفه

حفزك الحسد والكبرياء فكسوتني سبّة نحتني عن ذلك
المنصب ولم يغني عني معها اختيار الملك

فأنت ايها النصلُ الذي كنت اداة مجيدة لِمُحَلّاقي اصبحتَ
زينةً غير مجدية لجسم قد خمدت عزيمته
ايها الحديد الذي هابه الاعداء قديماً، وفي هذه المذلة وجدته
حلية للبهرجة لا اداة للدفاع، اذهب وفارق من اليوم احقر
من فوق الثرى، وانتقل - لتنتقم لي - الى يد خيرٍ من يدي

المشهد الخامس

دن دياج - دن لذريق

دن دياج : لذريق، الك فؤاد ؟

دن لذريق : لو سألني غير أبي لذاق بأسي وشيكاً

دن دياج : نعمت الغضبة . ونعمت الحفيظة التي تُلطف أُمي . لقد
عرفتُ في هذه السّورة دمي، وُبعث شبّابي في هذه الفورة
السريعة

تعال يا ابني . يا دمي . تعال واثار لوصمتي . تعال وانتقم لي

دن لذريق : ممّ ؟

دن دياج : من اهانة شديدة طعن بها شرفنا الطعنة القاتلة، من

لطمه في الوجه بيد وقحٍ ما كنت لأبقي عليه لولا ان الهرم
قد اخذ من عزيمتي الصادقة. وهذا الحسام الذي شلّ به زندي
ادفعه اليك لتشار لي وتعاقب الاثيم. فاذهب واختبر شجاعتك
في مبارزته

ان اهانة كهذه لا تُغسل الا بالدم، فمُت او اقتل. واعلم،
حذرَ الاغترار، ان الذي أدعوك الى كفاحه رجل يُرهّب
جانبه، فقد شهدته مجللاً بالدم والعِثَر، يلقي الرعب في قلب
جيش بأسره، ورأيت الجحافل تتمزّق بصدماته. ولأزيدك
علماً به أقول انه فوق العسكري الباسل، وفوق القائد
الكبير. هو...

دن لذريق : رحماك أتمم

دن دياج : والد شيان

دن لذريق : ال...

دن دياج : لا تحاور. أعرفُ هواك. ولكن الذي يطيق الحياة
في ذلة غير جدير بالحياة. انها لتشقّ المهانة علينا بقدر ما
يكون مقترفها حبيباً اليّنا. فأما وقد عرفت الاساءة وببذك
الانتقام منها، فلن أقول لك غير ما قلت. خذ بثأري. خذ
بثأرك. وأظهر انك الابن البار الخليق بالانتساب الى اب
مثلي. سأمضي وانا انو. بالمصائب التي صبها عليّ القدر، فأبكي
لما حلّ بي منها. وانت فاذهب. توثب. طر وانتقم لكلينا

المشهد السادس

دن لذريق

دن لذريق : رُميتُ في صميم الفؤاد بسهم فاجأني فاصمي . انا
الطالب المسكين لثأر عادل ، والهدف الذي تُبرّح به صروف
دهر ظالم ، أقف بلا حراك وتستسلم نفسي مستضعفةً لضربة
تودي بي

أفي حين اوشكتُ ان ابلغ غرامي - واحرّ قلباه لمرارة
خطبي - يكون في هذه الخصومة اني الموتور، ويكون الواتر
اباشيان ! لشدّ ما اكابد من المعارك في نفسي حتى شرفي يحاربني
دونه غرامي . يجب ان انتقم لأبي، فان افعل أفقد ريجانة
روحي . فنازعة تحفز قلبي، وأخرى تصد ذراعي . افضيت الى
التخير الاليم بين خيانة هواي او الرضى بالهوان، ومن كلا
الجانبين مصابي وراء كل مصاب، وارحمنا لي من تأنق هذا
العذاب !

أأدع الاساءة بلا عقاب، ام اقتصّ من المسيء وهو ابو
شيمان ؟ الوالد - المعشوقة - الشرف - الغرام ، وانا بين
الطواعية للأمر الشريف القاسي او الاستبداد المعذب
بادت جميع مسراتي او صُددع شرفي

احد الامرین یردنی شقیّاً، والثانی یُفقدنی الحق فی البقاء.

فیا ایها الامل الحبيب البغیض الصادر عن نفس ابیة للهوان
مدلهة بالهوى فی آن، إنک لأشرف عدو لاتمّ سعادة اطمع
فیها . ویا سیفاً یسبب شقائی، أقلّدتک لأثّار بک لشرفی ؟

أقلّدتک لأرزأ بک شیان ؟ اولی لی ان أهرع للقاء منیتی .
انا مدین لمحبوبتی کما انا مدین لوالدی، فاذا انتقمتم أثّرت
غضبها وبغضاءها، واذا لم انتقم کسبت ازدراءها

فحالة تنقض ما عاهدت علیه اعزّ آمالی، وحالة تجعلنی غیر
کف، للتی احبها . یتفام دائی بما التمس له من الشفاء، وكل
شیء یزید تباریحی، فتوطنی یا نفس اذا لم یکن بدّ من الموت،
علی ان ترّد حوضه من غیر اساءة الی شیان . أموت ولا
استأدی حسائی موتاً یقضي علی شرفی شر قضاء، متحملاً ان
تصم اسبانیاً ذکرای بأننی لم ارع کرامة بیتی !

أوثر حباً تراه نفسی - وان اضلّها - صائرأ الی الضیاع !
فلا نصنع الی اغراء خادع لا یجدي علیّ سوی مضاعفة
آلامی . وهلمّ یا ساعدي ننقذ الشرف اذا لم یکن لنا بدّ
من فقد شیان

اجل . کان عقلي قد اختبل . انا مدین بکل شیء لای

قبل معشوقتي . لأجندل في الكفاح ، او لأهلك من الأسي ،
 ساردّ دمي نقياً كما تلقيته ، اني لأشكو نفسي من تريثي
 بدارِ الى الاخذ بالثأر . واخجلتا من هذا التردد الطويل
 لا عليّ . ووالدي هو الذي أهين اليوم . ان الذي اعتدى
 عليه هو والد شيان



الفصل الثاني

المشهد الاول

دن ارياس - الكنت

الكنت : اعترف بيني وبينك ان الحمية استفزتني، وان دمي غلي
من كلمة اكبرتُ مرماها . فاما وقد قضي الامر، فالعلة لا
دواء لها

دن ارياس : فلينزّل قلبك الكبير على ارادة الملك، اذ ان ذلك
الحادث قد وقع منه موقعاً احفظه، وسيقضي في شأنك بمطلق
سلطانه . وليس لك من عذر مقبول : فإن خطر النساء اليه،
وجسامة الاساءة يستلزمان من الواجبات ومن الطاعات ما
يتخطى حدّ المألوف في الترضيات

الكنت : للملك ان يتصرف في حياتي كما يشاء

دن ارياس : اتبعتَ وزرك بوزرٍ آخر من التزق والاندفاع
الملك ما زال يودك، فسكن غضبه . قال اني اريد، فهل
تأبى الامتثال ؟

الكنت : ياسيدي، إذا ابقيتُ على كرامتي ومن اجلها انخرفت
عن الطاعة انحرافاً يسيراً اتعدّ عليّ هذه المخالفة ذنباً جسيماً ؟

على انه لو بلغ ذنبي ما بلغ ، فان خدَمِي الراهنة كافية
للتكفير عنه

دن ارياس : ~~مهما~~ يأتِ التابع من عظامم الفعال فلا فضل له بها على
الملك . انك لتحسن ظنك بنفسك غاية الاحسان ، على ان
خدمة الملك فرض مقضي ، فان ظالت على هذا الاعتداد بنفسك
افضى بك الى سوء المصير

الكنت : لا اصدق الخبر حتى يؤكده الخبر

دن ارياس : يجب ان تحذر جانب الملك

الكنت : يوم واحد لا يقضى به على رجل مثلي . فليتسلح بكل
اسلحة اقتداره لتعذيب . ان اهلك تهلك الدولة

دن ارياس : يا عجباً . اهذا مبلغ تهيبك للسلطان الاعلى

الكنت : سلطان الصولجان الذي لولاي لسقط من يده . ان
مصلحته كل مصلحته لني بقائي ، فاذا هوى رأسي هوى تاجه
عن رأسه

دن ارياس : تلتطف بتهدة روعك ، والرجوع الى رأي اصوب في
شأنك

الكنت : قد انتصحت بما بدا لي

دن ارياس : فاذا اقول له اذن ، ولا بد لي من الجواب

الكنت : قُلْ لَهُ أَنبِي لَا اسْتَطِيعَ قَبُول مَا فِيهِ إِذْ لَالِي
دن ارياس : وَلَكِنْ تَذَكَّرْ أَنَّ الْمَلُوكَ يَأْبُونَ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مُسْتَبْدِينَ
الكنت : هَذَا أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ يَا سَيِّدِي ، فَلَا مَحَلَّ لِمَزِيدِ
القول

دن ارياس : بَقِيَ عَلَيَّ الْإِنْصِرَافُ بَعْدَ اخْفَاقِي فِي اقْنَاعِكَ ، وَلَيْسَ
الْغَارُ لِيَرُدَّ عَنْ هَامَتِكَ فَاتَّقِ الصَّاعِقَةَ

الكنت : سَأَنْظُرُهَا بِلَا وَجَلٍ

دن ارياس : وَلَكِنَّهَا وَاقِعَةٌ لَا مَحَالَةَ

الكنت : سَنَرَى أَذْنَ دَنْ دِيَا جَ بِالْغَا مَرَامِهِ . (مُنْفَرِدًا) مِنْ لَا يَخْشَى
الْمَوْتَ لَا يَخْشَى الْوَعِيدَ . وَلِي قَلْبٌ يَعْלו عُلُوًّا كَبِيرًا عَنْ النِّقَمِ ،
وَأَنْ كَانَ مِنْ الْأَوْجِ مَهْبِطُهَا . لَا يُسْرِي أَنْ اتَّحَمَلَ عِبَاءَ الْحَيَاةِ
لَا نَعْمَاءَ فِيهَا ، مِنْ أَنْ أَطِيقَ الْعَيْشَ وَالشَّرْفَ مُثْلَمَ

المشهد الثاني

الكنت - دن لذريق

دن لذريق : سَمِعْتُكَ يَا كَنْتَ . لِي إِلَيْكَ كَلِمَتَانِ

الكنت : تَكَلِّمُ

دن لذريق : أزل ركباً من نفسي، أتعرف دن دياج ؟

الكنت : نعم

دن لذريق : لتكلم همساً - اصغِ إليّ

اتعرف ان هذا الشيخ كان في زمانه مثال الفضيلة والشجاعة

والشرف ... اتعرف ذلك ؟

الكنت : لعله

دن لذريق : هذه الحرارة التي تسطع في عيني هي حرارة دمه .

اتعرف ذلك ؟

الكنت : وما يعنيني ؟

دن لذريق : سأنبئك ان كنت من الجاهلين - على اربع خطى من هنا

الكنت : كبرت دعواك ايها الفتى

دن لذريق : تكلم بلا انفعال . إني فتى ما زلت . ولكن البأس

في النفوس الكريمة لا يُرتن بعدد السنين

الكنت : اتقيس نفسك الي ؟ من الذي نفخ فيك هذا التبجح

ولمّا تمشق حساماً ؟

دن لذريق : امثالي يمينون عن بأسهم بفتكة لا فتكتين ويأتون في

التجريب ما لم يأتاه اولو التدريب

الكنت : أتعرف من انا ؟

دن لذريق : أجل . وسواي من يفرق لشهرة اسمك . اري غاراً
فوق غار يغشي رأسك ، فيلوح لي ان الاقدار قد كتبت به
آية هلاكي ، ولكنني سأضرب غير مبالٍ ساعداً ما فتى النصر
حليفه ، وسأجد من القوة كفاء ما عندي من الشجاعة

لا يمتنع أمر على الذي ينتقم لآبيه
زندك لم يُغلب ولكنه لم يُعصم من يد تغلبه

الكنت : هذه الشجاعة التي تتفجر في كلامك كنت اري مخايلها
كل يوم في عينيك ، وأشعرُ انك ستغدو فخر قشتالة فيطيب
لي ان تصبح ابنتي لك حليمة . اعرف هيامك بها ويسرني ان
اشهد ان عوامل الهوى لم تحل بينك وبين الواجب ولم تثن
عزيمتك النبيلة . ولقد جاءت شمائلك العالية مصداقاً لعالي رأيي
فيك ، فتبدئتُ منها ، وامنيقي اختيار صفوة الفوارس لمصاهرتي ،
انه لم يخطئني التوفيق في ايثارك

على انني احس ان بي نزعة من الرحمة لك ، فاعجب باقدامك
وأشفق على صباك

دع التعرض في بدء شأنك لتجربة تأتي على نفسك .
وأعفِ بأسِي من نزال من ليس لي ندأ . فما من فخر لي في
عقبى ذلك النزال

من غلب ولم يخاطر فاز ولم يمجّد

سيتوهم الناس انني صرعتك ولم أجهّد، فيبقى لي، ولا فخر،
اسف الايذاء بك

دن لذريق : تُعقّب على جرأتك بشفقة مزرية

افمن يسلبني شرفي يتجنب ان يسلبني حياتي ؟
الكنت : توارّ من هذا المكان

دن لذريق : هلمّ بنا من غير حوار

الكنت : أنت تعب من الحياة ؟

دن لذريق : أنت ترهب الموت ؟

الكنت : تعال فافما تقوم بواجب، وليس بكريم العنصر ولد يعيش
يوماً بعد شرف ابيه

المشهد الثالث

بنت الملك - شيان - ليونورة

بنت الملك : سكّني يا شيان، سكّني أَلَمْ نفسك، وردّيتها الى الصبر
في هذا المصاب

ستجدّين الصفاء بعد هذه الراعدة الضعيفة

وما شوائب سعدك الا سحائب رقيقة لا تلبث ان تتقشع
فتجلدي تحمدي عقباها

شيان : قلبي مُقسّم بين الهموم ولا يشيم بارقة للرجاء . هذه
العاصفة المفاجئة التي هاجت بجرأ هادئاً انما تنذر بغرق لا
مفرّ منه

لستُ بمرتابة واني لهالكة في المرفأ . كنت محبة ومحبوبة
وكان ابوانا على وفاق . فيينا انا احدثك بهذا الحديث البهيج
اذ تولدت تلك الحصومة ، وانتهى اليك خبرها المروع فهمد
ما كان مشيداً من آمالي . قبح الطمع ، وساء من خلة تجني
باستبدادها على اكرم النفوس

فيا ايها الشرف الذي لم يرحم اعزّ امانيّ ، ماذا انت سائني
من دموع وزفرات ؟

بنت الملك : ليس في هذه الحصومة ما يؤذن بما تخافين ، فقد شبت
جذوتها في لحمة ، وستخمد في لحمة . سيدعو تفشي انبائها الى
حسمها ؛ وحسبك ان الملك قد اراد اصلاح البين ؛ ثم تعلمين
اني أرقّ لاشجانك ، فما من أمر مستطاع إلا سأفعله لازالتها

شيان : في مثل هذا الامر لا تجدي المصالحات فتياً ، والمساءات
القاتلة كهذه لا تندمل جراحها

هيهات ان تنجع القوة او الحكمة في تلك العلة ؛ فان شفيت
لم يكن شفاؤها إلا في الظاهر

البغضاء التي تتغلغل في القلوب تغذي نيراناً يخبأها الرماد
فما يزيد لها الا احتداماً

بنت الملك : إن الرابطة المقدسة التي ستربط لذريق بشيان ستذهب
باحقاد الوالدين المتعاضدين، وسنرى عما قليل حبكما يستظهر
على الضعيفة فيهما، وزى الزفاف الهنيء يلاشي تلك الشحنة

شيان : تلك امنيتي ولكن يقصر دونها رجائي

دن دياج عاتر، ووالدي اعرفه . تسيل دموعي وبودّي لو
ترقأ . يؤلمني الماضي، واخشى المستقبل

بنت الملك : ماذا تخافين من هرمٍ قد وهن العزم منه ؟

شيان : لذريق مقدم

بنت الملك : لم يزل في نضارة عوده

شيان : الشجاعة في الشجعان تبدو لأول بادرة

بنت الملك : وعلى هذا لا ارى محلاً لما تحذرين، فإن لذريق يهواك
هوّى ينأى به عما تكرهين، وكلمتان من فمك تكفيان
لاطفاء ثورته

شيان : فإن لم يطعني فما اشد حزني، وان اطاعني فماذا يقولون

عنه، أَيْتَحَمَّلَ تلكَ الإهانةَ من يَنمِيهِ أَصْلَ كَأَصْلِهِ ؟ وَسِوَاءِ
أَبْرَمَ عَهْدِهِ لِي أَمْ نَقَضَهُ فَمَصِيرِي مَعَهُ، أَمَّا إِلَى الْخَجَلِ مِنْهُ أَوْ
الْخَجَلِ عَنْهُ ؛ لَافْرَاطِهِ فِي الْإِمْتِثَالِ أَوْ لِإِبَائِهِ وَلَهُ الْعَذْرُ

بنت الملك : نَفْسُكَ يَا شَيْمَانُ عَالِيَةٌ، وَلَا إِخَالَ الْغَرَامِ يَنْزِلُ بِهَا إِلَى
ظَنَّةٍ دَنِيئَةٍ . فَإِذَا أَهْبَيْتُ بِذَلِكَ الْعَاشِقَ الْوَالِدَ، وَاحْتَبَسْتُهُ لَدَيَّ
حَتَّى تَنْحَسِرَ الْغَمْرَةُ، فَحُلْتُ بِذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَلْبِيَةِ دَاعِي
شَجَاعَتِهِ أَفَلَا يَمُرُّ بِقَلْبِكَ خَلْجَةٌ شَكَّ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ؟

شيمان : آه يَا سَيِّدَتِي، لَوْ فَعَلْتُ لِأَفْرَخٍ رَوْعِي

المشهد الرابع

بنت الملك - شيمان - ليونورة - الوصيف

بنت الملك : يَا وَصِيفُ، ابْحَثْ عَنْ لَذْرِيْقٍ وَادْعِهِ إِلَيَّ

الوصيف : الْكَنْتُ دِي جَرْمَازِ وَدَنْ لَذْرِيْقٍ

شيمان : يَا رَبَاهُ ! ارتعد

بنت الملك : تَكَلِّمْ

الوصيف : خَرَجَا مَعًا مِنْ هَذَا الْقَصْرِ

بنت الملك : أمفردين ؟

الوصيف : منفردين وكأنهما يتلاحيان

شيان : لا ريب في انهما يتبارزان، ولا وقت لاطالة الكلام
اغتفري لي يا مولاتي هذا البدار

المشهد الخامس

بنت الملك - ليونورة

بنت الملك : يا ويح لي، ما اشدّ بلبالي ! ابكي لشقائها وعاشقها ميلاً
قلبي . زايلتني راحتي، وثارت لواعجي

والسبب الذي سيفرق بين لذريق وشيان ينعش املي ويجدد
في آن المي . أرى انفصالهما بمضض وارتماض وفي قرارة مهجتي
غبطة وسرور

ليونورة : تلك العِصمة السامية، وهي ملاك امرك، أتتغلب عليها
بهذه السرعة صبوة اثيمة ؟

بنت الملك : لا تصفيها بالاثم بعد ان طغت على نفسي، والقيت
زمامها الى احكامها القاهرة

أوليها رعايتك من حيث انها تعزّ علي . عفتي تقاتلها ولكن

على الرغم مني، ارجو رجاء لا يقوى عليه قلبي المستضعف
فيطير باجنحة الخيال الى العاشق الذي فقدته شيان

ليونورة : فأنت اذن تقذفين بقوة عزيمتك من حالق، وتعطين
عمل عقلك

بنت الملك : آه . ما اقل استجابة الهوى فينا للرشاد حينما يرتوي
القلب من سمة الشهوي . قد يألف السقيم نزوات سقامه،
فيشق عليه التماس البر، من آلامه

ليونورة : أملك يغريك، وأملك مستعذب، ولكن لذريق ليس
بأهل لك

بنت الملك : اعلم ذلك فوق ما تعلمين، ولكن اذا كان خفري لم
يعصمني منه فتبيني كيف يسطو الغرام على القلب الذي يملكه

اذا خرج لذريق منتصراً من هذه المبارزة، واذا سقط هذا
الغطريف بأية من بأسه جاز لي ان اكرث لشأنه وان احبه
بلا تورع؛ فما الذي يمتنع عليه، وقد تغلب على الكنت ؟
يخيل الي عندئذ انه لو صال ادنى صولاته لدانت له الممالك
بأسرها . ويهيئ لي غرامي منذ الساعة انني اراه جالساً على
عرش غرناطة يستعبد المغاربة، ويعبدونه خاشعين، وان الاراغون
ستلقاه فاتحاً، وان البرتغال ستولي قيادها، وان ايامه الغراء
ستمد الى ما وراء البحار جاهه وسلطانه، وتسقي بدماء اعدائه

اكاليل غاره . وعلى الجملة فكل ما قالوه عن اشهر الغزاة
ارقبه من لذريق بعد فوزه، واجعل معه كلفي به فيخراً لي
وذخراً

ليونورة : ولكن يا سيدتي تبصري الى اين ترفعين مقامه علي
أثر مبارزة لعلها لم تحدث

بنت الملك : لذريق مُساء اليه ... والكنت هو المُسي، وقد خرجا
معاً ... ابعده هذا جواب علي سؤال ؟

ليونورة : ليكن يا مولاتي انها يقتتلان كما تشائين، ولكن هل
يدرك لذريق عملاً ما بلغته اليه املاً ؟

بنت الملك : ماذا تبتغين مني ؟ لقد خولط عقلي، وضللت سبيلي فانظري
ما يعد لي العشق من التباريح . تعالي الى غرفتي فسرّي عني،
ولا تتركيّني في هذا البلبال وحدي

المشهد السادس

دن فرنان - دن ارياس - دن سانش

دن فرنان : الكنت اذن علي ما وصفت من الخيلاء، وقلة البصر
بالعواقب، أيجروء علي الظنّ بان جريمته تغتفر ؟

دن ارياس : حدثته من قبلك واسهبت في البيان، وبذلت معه
جهدي يا مولاي، ولم اصل منه الى طائل

دن فرنان : يا عجباً ! رجل من اتباعي تذهب به الجرأة الى نقض
ما لي من حق التجارة والى الاستخفاف برضاي، فيهمين دن دياج،
ويحتقر مليكه، ويأمرني امره بين حاشيتي وبطانتني ! ليكن ما
شاء مقداماً جسوراً وقائداً قديراً، سأكسر من غربه، واحط
من خيلائه؛ ولئن كان اخاً للشجاعة واله الحرب لارينه ما
عقاب معصيتي . كبرت جريمته وحق عليه القصاص، غير انني
اردت بادئ بدء ان ارفق به؛ فأما وهو قد جاز مدى الحلم،
فامض اليه ليومك، واقبض عليه مستسلماً او مقاوماً

دن سنش : لعل التريث في امره يردّه عن المعصية، فقد اخذ على
حين كان دمه فائزاً من أثر الخصومة

مولاي ان قلباً نبيلاً كقلبه يصعب اقتياده في حرارة سورتته
الاولى . انه ليرى خطاه، ولكن النفس الابية يشق عليها، ولما
يسكت عنها الغضب، الاقرار بخطئها

دن فرنان : صه يا دن سنش واعلم ان الشفاعة فيه جريرة كجريرته
دن سنش : سمعاً وطاعةً ولكن سماحاً يا مولاي، وإذنأ لي بكلمتين
اخرين دفاعاً عنه

دن فرنان : وما يسمعك ان تقول ؟

دن سنش : يعزّ على نفس تعودت المساعي الجسام التدني الى
الطاعات زعماً منها ان خضوعها لا يؤوّل الا بما فيه هوانها؛
فالهوان وحده هو اللفظة التي عصى من اجلها الكنت، ووجد
في اداء مفترضها قسوة ناهيك من قسوة، وما كان اقربه الى
الامثال لو كان اقلّ صلابة في القتال، فأوقع اليه امراً بان
يصلح ما اساء في حومة يخوضها، وجلادٍ يعمل فيه ساعده
المتمرّس بآفات المعامع، يلبّك يا مولاي الى ما تشاء.

ولو تصدى له من تصدّى ريثما يتبين جلية امره - لاجابه هذا
(يشير الى سيفه)

دن فرنان : ذهلت عن حرمة الموقف، ولكنني اتجاوز لسنك،
واعذر الحمية في مقتبل الشباب . فان الملك الذي يصرف
حكيمته في الامور المثلّية يبقى ابقاء الضنين على دم رعاياه .
وما شأني في الحرص على أتباعي والاحتفاظ بهم الا شأن
الرأس يعنى بالاعضاء التي تخدمه

فالرأي الذي أدليت ليس هو الرأي في نظري
انت تتكلم كلام جندي، وعليّ ان افعل فعل ملك، ومهما
يزعم الآخرون، ومهما يدع الكنت فان اطاعته لي لم تكن
لتحطّ من عليائه، على ان اساءته قد مستني بإيذائها شرف
ذاك الذي آثرته مرشداً لولدي، فهو باستطالته على من اصطفيت

استطال عليّ بالذات، واقترف وزر الاعتداء علي السلطان
الاعلى

حسبنا كلاماً في هذا المعرض . وقد بقي عليّ ان اقول
ان عشرأ من سفائن اعدائنا القدماء لوحظت رافعة اشرعتها
ومجترئة علي الاتجاه نحو مصب النهر

دن ارياس : قد عرفك المغاربة بما عانوه من بلائك فيهم، واراهم
لكثرة ما باءوا بالفشل والاندحار لا يقدمون بعد علي مناواة
قهارهم العزيز

دن فرنان : يعزّ عليهم - لا محالة - ان يروا صولجاني باسطاً ظله
علي ارجاء الاندلس، وهم يرمقون بعين الغيرة هذا البلد
الجميل الذي اضاعوه بعد ان طالت ولايتهم عليه، فلهذا
السبب الاوحد نقلت عرش قشتالة الي اشبيليا منذ عشر
سنين، بحيث يتسنى لي ان اراقبهم عن كشب، وان اتدبر
عاجلاً فيما يصدّ هجماتهم ويخلف ظنونهم

دن ارياس : يدرون، وقد اطارت الحرب ارفع هاماتهم، ان شهودك
الوقائع يضمن لك الفتوح، فلا بأس عليك منهم

دن فرنان : وليس من الصواب ايضاً ان نسترسل في الالهال فان
فرط الثقة مجلبة للخطر، وما غاب عنك ان مدّ البحر يدينهم
الي هذا المكان بأيسر مجهود، علي انه لا يحمل بي ان القي

في القلوب هلعاً من الطوارق ولما تبدُ حقائقها فربما احدث
شيوع هذا النذير هلعاً يزعج المدينة في الليلة الآتية، فر عني
بمضاعفة الحرس على الاسوار وفي الميناء، وحسبنا هذا القدر
في هذا المساء

المشهد السابع

دن فرنان - دن سنش - دن النس

دن النس : مولاي، قد مات الكنت، ووتر دن دياج بيد ابنه .
دن فرنان : منذ علمت بالاهانة شعرت بهذا الانتقام، وعمدت
من ساعتي الى تدارك الفاجعة

دن النس : بالباب شيان وفدت لترفع بثها الى قدميك مستعبرة
العينين تلتمس الانصاف

دن فرنان : اني لارثي لبلواها، ولكن اباه لقي الجزاء، الحقيق
بجرائته، على انه خليف بها ان تحزن على الكنت، وبني انا ان
أسف لفقدي قائداً عظيماً خدم مملكتي خدمة طويلة الامد،
وسفك في سبيلي دمه في الف معترك، فمع ما حركت نفسي
من العوامل سورة كبريائه اجهر ان فقدته يضعضعني، وان
موته يشجيني

المشهد الثامن

دن فرنان - دن دياج - شيان

شيان : مولاي، مولاي عدلاً

دن دياج : آه يا مولاي اصغرينا

شيان : أترامي على قدميك

دن دياج : أُقْبِلْ ركبتيك

شيان : الشمس النصفية

دن دياج : استمع لدفاعي

شيان : عاقب ذلك الشاب الجريء على قبحته، فقد قوّض

ركن صولجانك . قتل أبي

دن دياج : أخذ بشار أبيه

شيان : الملك موكل بالعدل في دماء رعيته

دن دياج : لا عقاب على الانتقام المشروع

دن فرنان : إنهمضاً كلاً كما لقد فسحت لكل منكما في ابداء ما

عنده . شيان، ارثي لبلواك، واحسن ان حزني عديل حزرك

نتكلم فيما بعد، لا تقطع عليها شكواها

شيان : مولاي، ابي قُتل، وشهدت عيناى دمه المسفوح
يتدفق دُفعاً كباراً من جنبه الكريم، ذلك الدم الذي بذل
مراراً لصيانة اسوارك، ذلك الدم الذي اعلى كلمتك في
المعامع

ذلك الدم الذي خرج والدخان يسطع منه غضباً لانسفاكه
في غير سبيلك

ذلك الدم الذي لم تستطع الحروب ان تريقه في غمراتها قد
جَلَل به لذريق بلاط قصرك

هرغت خائرة القوة شاحبة اللون، فوجدته فارق الحياة .
اعذر توجعي، يا مولاي . عدمت الصوت لاستكمال هذه
القصة المروعة، وكفى بدموعي وزفراقي إفصاحاً عن سائر
ما جرى

دن فرنان : ثَبَّتي قلبك يا بُنَيَّتِي واعلمي اليوم ان الملك يريد ان
يكون لك اباً مكان ابيك

شيان : مولاي، بالغت في تشريف قدري بعد محنتي . لقد تقدم
قولي انني وجدته بلا حراك ؛ كان جنبه فاغراً وكأنني بدمه
يستصرخني ويخط لي على التراب ما يقتضي من الواجب

او كأن تلك القوة التي رُدَّت الى البوار تخاطبني بجرحها
لتستحثني على اللحاق بالغارم، وتستعير من فم هذا الجرح

الاليم صوتي لابلاغ ظلامتها الى اعدل الملوك . مولاي،
لا تجزان يقع في عهدك وبمشهد منك مثل هذا الجرم، وان
يستباح اولو البأس المبرزون لمجترئ عليهم يأمن العقاب،
وان ينبري شاب جسور فيهدم علياءهم، ويشرب دماءهم،
ويلطخ ذكراهم، فإذا لم تثار لذلك الصنديد الذي رزئته
طُفئت في النفوس حماسة الذين يخدمونك

دع كل هذا . قتل ابي، واطالب بدمه لا للترفيه عني باكثر
من الرعاية لجانبك . خسارة لك ان تحرم رجلاً هذا شأنه،
فأثأر لموته بموت الجاني عليه، وكافي الدم بالدم، وضح به
لتاجك لا لي، بل قدّمه لعلياك بل لذاتك . ضح
يا مولاي لمنفعة الدولة بكل من يستطيل مثل هذه الاستطالة

دن فرنان : دن دياج، اجب

دن دياج : أحر بالانسان الذي يعدم الحياة بانعدام عزيمته ان
ينبطه الناس فقد يهيئ للكرام طول آجالهم بعد شوطهم المجيد
ضعةً وهواناً، انا الذي ضمنت له فعاله الجسام ما شاءت من
الفخار . انا الذي عقب على النصر بالنصر كل آن وآن . اراني
اليوم لا ذنب لي الا امتداد البقاء اتلقى الالهانة وألبث
موسوماً ييسمها، فما لم تنله مني ملحمة ولا حصار ولا كمين،
وما لم تستطعه أراغون وغرناطة ولا اعدائك جميعاً، - ولا
حسادي جميعاً - فعله الكنت في قصرك وعلى مدى بصرك

غيرة من ايثارك اياي، واعتداداً برجحان قوته على القوة التي
سلبها مني تقادم سني

فهذه اللمة التي ابيضت تحت خوذة الكفاح، وهذا الدم
الذي بُذل غير مرة في سبيلك يا مولاي، وهذا الساعد الذي
كان يلقي الذعر في جيش اعدائك، كل ذلك كاد ينزل معي
الى القبر موصوماً بالعار، لو لم الد ولدأ جديراً بالانتساب الي،
خليقاً باعلاء ذكر بلاده، حقيقاً بالانتماء الى ملكه، اعارني
ذراعه، وصرع الكنت، فنضح عن شرفي، وغسل اوضار
عاري . فاذا كان ابداء الشجاعة، وشفاء غلة الحقد، والانتقام
من اللطمة في الوجه، جُناحاً يعاقب عليه، فعليّ وحدي تقع
التبعة

يخطئ الزند فيعاقب الرأس، وسواء أَعْدُ ذنباً ما نتحاور
فيه ام لا ، انا يا مولاي الرأس، وليس ابني الا الذراع .
تشكو شيان من انه قتل اباه، وتالله ما كان ليودي به لو
قدرت على الايداء به . فليضح اذن بهذا الرأس الذي يلوي
به الهرم، وليبق الساعد الذي يضطلع بخدمتك . أرض شيان
بسفك دمي، فقد طُبتُ نفساً للاقتصاص مني ورضيتُ بالحكم عليّ
مهما بولغ في شدته، اذ اتني بموتي نقي الشرف، اموت بلا
اسف

دن فرنان : المسألة ذات بال تدعو الى اعمال الروية ومشاورة المجلس

دن سانش، اصحب شيان الى بيتها
دن دياج يلزم قصري سجيناً فيه، رهيناً بعهدہ . ليوت بابنه،
سانصفك يا شيان

شيان : من العدل ايها الملك العظيم ان يُقتل القاتل

دن فرنان : روحي عنك يا ابنتي، وسكني احزانك

شيان : الامر بالترويح عني يزيد اشجاني



الفصل الثالث

المشهد الاول

دن لذريق - الفيرة

الفيرة : لذريق، ماذا صنعت ؟ الى اين تأتي يا منكود الطالع ؟

دن لذريق : جئت لاتباع سيرتي في طريق شقائي

الفيرة : أنى لك هذه الجرأة وهذه الخيلا الجديدة، وكيف تظهر في هذه الامكنة التي ملأها حداداً، أجئت الى هنا تتحدى طيف الكنت ؟ ألسنت قاتله ؟

دن لذريق : حياته كانت عاراً عليّ، وشر في سامّ يدي هذا البطش

الفيرة : ولكن اتلجأ الى بيت صريعك ؟

وهل جرى ان قاتلاً اتخذ بيت قتيله موئلاً ؟

دن لذريق : انما اتيت لآستسلم الى وليّ الدم فيه، فلا تنظري اليّ

بهذه الدهشة . اطلب الموت بعد ان اعطيته . وغريمي هو

غرامي، وقاضي هو شيان

حقّ لي ان اموت حين أثرتُ حفيظتها، فوافيت ولا مطمع

لي إلا سماع الحكم عليّ من فمها، وتناول الضربة القاضية

من يدها

الفيرة : أولى لك ان تتوارى عن عينها، وتقرّ من غضبها،
وتتقي سورة حزنها في بدء شوبها . اذهب ولا تتعرّض
للفورة الاولى، وللنزوات التي تدفعها اليها عوامل حقدها

دن لذريق : لا . لا وهيئات ان يبلغ حنقها، والعذاب الذي ينالني
منها، ما هو حقيق بأن يبلغه، فاني لو قدرت على مضاعفة
غضبها لتعجيل اجلي لاجتنبت مئة مئة ستغيني

الفيرة : شيان في القصر غارقة في البكاء، ولن تعود منه الا
مصحوبة بمن يُخشى بأسه

فاهرب يا لذريق اني اسألك مستعطفة، وانقذني من هذه الحيرة
ماذا يقول الذين قد يرونك الآن في هذا المكان، اريد
ان يتهمها واش - وفي ذلك نهاية بوئسها - بانها فسحت لقاتل
ابيها ان يتحرم بجماها

أزف معادها ... ها هي آتية ... أراها

لأيسر الخطب على شرفها - يا لذريق - ان تختبي

المشهد الثاني

دن سنش - شيان - الفيرة

دن سنش : أجل يا سيدي يجب ان تسفك دماء عزيزة شفاء
لغضبك المشروع، وإرقاء لدموعك

ولست محاولاً بالأسهاب في الكلام تلطيف ما بك او تعزية
قلبك، ولكن اذا تسنى لي ان اضطلع بخدمتك فاستخدمي
سيفي للاقتصاص من المجرم، واجعلي غرامي قاضياً لغرمك،
فبأمر منك يشتد ساعدي، ويأتي العجب العجاب

شيان : واحربا!

دن سنش : ابتهل اليك ان تتقبلي مني ما اعرض من خدمتي

شيان : اخشى تكدير الملك وقد وعدني بانصافي

دن سنش : تعرفين ان القضاء يسير سيراً بطيئاً، فيغلبُ افلات
الجنة منه، لكثرة مطاولته، وذهاب الدموع هدرأً من جراء
ريبه ومهله . فأذني لفارس ان ينتقم لك بسلاحه، فيختصر
طريق الثأر، ويعجل القصاص

شيان : هذا آخر علاج، فإذا تحتم وظللت على هذا العزم وهذه
الركة لمصابي كان لك عندئذٍ ان تأخذ بثأري

دن سنش : هذا اشهى ما تصبو اليه نفسي، فأما وقد ساغ لي ان
ارجوه فإنني انصرف راضياً

المشهد الثالث

شيان - الفيرة

شيان : يسرني بعد نفاد صبري ان اخلو، وان اكشف لك بطلاقة
ضميري ما في نفسي من افاعيل الآلام . ففي وسعي ان اصعد
زفرائي، وان اظهرك على مكمن شجوني

ابي مات يا الفيرة، واول سيف تقلده لذريق هو الذي صرم
به حبل ايامه

ابكي ابكي يا عيوني، وسيلي دموعاً

شطر من حياتي قذَفَ الشطرَ الآخرَ الى القبر . واكرهني
بعد تلك الضربة القاضية على طلب الثأر للشطر المفقود من
الشطر الموجود

الفيرة : استريحي يا سيدتي

شيان : آه توصيني بالراحة وما ابعدها عما يقتضيني رزئي الفادح .
من اين التمس تسكين ألمي في هذا المصاب الجلل، وانا لا
استطيع ان ابغض اليد التي سبَّته وماذا ارجو سوى العذاب
السرمذ من تعقي الاثم وانا احب الاثم

الفيرة : ايتحك من ابيك، وما زلت تهوينه !

شيان : قليلٌ قولك انني اهواه يا الفيرة، انا اعبد، وهيامي به
يعارض حقدي، هو العدو الذي اجد فيه الحبيب . واحس
على ما بي من شديد الغضب انه في قلبي يقاتل ابي، يهاجمه،
يُخرجه، يتاركه، يزود عن نفسه : تارةً قوياً وطوراً ضعيفاً،
وأنا منتصراً

عراك قاس بين الغضب والصباة يفطر فؤادي ولا يشطر
نفسي، للهوى ما له عليّ من سلطان، ولكنني لن اتردد في
متابعة واجبي، سأمضي بلا توقف في ما يدعوني اليه شرفي

لذريق حبيبٍ إليّ، وهيامي به يشجيني، ينحاز قلبي اليه
غير انني مرغمة على عدوانه، واعرف من انا، وان ابي قد قتل

الفيرة : اتنوين تعقبه ؟

شيان : آه، يا له من خاطر أليم، ويا له من تعقب امعن فيه على
الكره مني . أطلب رأسه واخشى ان أعطاه . سأموت على
أثره وأريد ان اقتص منه

الفيرة : دعي، دعي يا سيدتي هذا المطلب الفاجع، ولا تسومي
نفسك شرعاً تناهي في جفوته

شيان : كيف تقولين ؟ ايقضي أبي وكأنه قد قتل بين ذراعي
فيستصرخني دمه للانتقام ولا استمع لصراخه ؟

ايظن قلبي وقد أسرته عوامل صبوته ان حقّ ابي عليه يوفي
بدموع لا تجدي ؟ وهل اتحمل غراماً خادعاً يعوقني جنناً
عن بثّ ما بي ويخنق شرفي ؟

الفيرة : صدّقيني يا سيدتي انك ابليت العذر، فلا تشتدي كل هذه
الشدة على من تحبين

كلاهما عاشق ومعشوق . ولقد فعلت ما في وسعك، رفعت
امرك الى الملك فلا تستعجلي حكمه، ولا تتماذي في ما يزعجك
من هذا التناقض الغريب

شيان : لا يسلم شرفي ألا بان أثار له ؛ ومعاذير الهوى حجة للمبتلين
به، على انها مخجلة للقلوب النبيلة

الفيرة : ولكنك تحين لذريق وهو لم يكن ليغضبك

شيان : اعرف ذلك

الفيرة : وبعد فإذا ترين ان تفعلي ؟

شيان : للاحتفاظ بشرفي وللنجاة من همي ، سأنتصف منه فأفقدته ،
وأموت على أثره

المشهد الرابع

دن لذريق - شيان - الفيرة

دن لذريق : إيهأ ، لا تجشمي نفسك عناء تعقبه ، واضمني لها شرف
الأيداء به

شيان : الفيرة !! اين نحن ؟ وماذا أرى ؟

لذريق في بيتي... لذريق أمامي ؟

دن لذريق : لا تبقي على دمي ، وتذوقي لذة قتلي ، والانتقام مني غير
مُدافعة

شيان : ويحي !

دن لذريق : اصغي الي

شيان : أحتضر

دن لذريق : امنحيني هنيهة

شيان : اذهب ودعني اقضي نحبي

دن لذريق : أربع كلمات ولا أزيد، ثم لا تجيئني إلا بهذا السيف

شيان : وا حرباً، أهبذا السيف، وما زال بليلاً بدم ابي

دن لذريق : يا شياني ...

شيان : وارِ هذا الشيء البغيض فهو يزيد جرمك وابقائك

قبحاً في عيني

دن لذريق : بل انظريه واستفزي به بغضائك ؛ لتضاعفي غضبك

وتعجلي في الاخذ مني بطائلتك

شيان : انه مضر ج بدمي

دن لذريق : غيبه في مهجتي، وأزيلي منه صبغ دمك

شيان : آه من جفوة طبعك، في يوم واحد تقتل الاب بالسيف

والبنت بمرآك، وارِ هذا الشيء، لا أطيق رؤيته، تريد أن

أزعيك سمعي، وانت ترهق روحي

دن لذريق : افعل ما تأمرين به على ان أختم بيدك حياتي الشقية

وحاشا كلني بك ان يداخله الجبن، فأندم على فعل كان حميداً.

فتسكة أعجلها الحق عن تقدير العواقب، وصمت ابي وكستني

عاراً ؛ وتعلمين ما أثر اللطمة في النفس الكريمة ؛ لحقتني ما لحقتني

من الوصمة فبحشت عن مقترفها، فرأيتك فانتقمتم لشرفي وشرف
والدي ولو وجب ان اعاود لعاودت، على ان غرامي نازعني
طويلاً فقاومت والدي ونفسي في سبيل حبك، وحسبك منه،
على جسامته تلك المساواة، أنه تركني حيناً أشاور نفسي في
الاقدام او الاحجام، فلما وازنت بين اغضابك او تحمل الشنار
ايقنت ان زندي سبق العذل بزماعه، وشكوت من حدة في
طبعي جازت مداها، ولا شك ان جمالك كاد يرجح بكفته
في الميزان لو لم ادفع سطواته بما مر في خاطري وهو ان
رجلاً عطل من شرفه لا يكون لك اهلاً، وان التي احببني حراً
كريمياً ستبغضني جباناً لثيماً مع ما لي في قلبها من المكانة الرفيعة
واني لو أطعت هواك وصبرت على الهوان لأصبحت غير
خليق بعطفك، وأخلفت بي حسن ظنك.

اعود فأقول لك - وعلى ما لي من حزن وجزع - سأعود
وأقول لك الى آخر نسماقي - انني أسأت اليك، وأكرهت
على هذه الإساءة؛ لأخو عاري واكون اهلاً لك فأما وقد
وفيت دين الشرف، وقضيت حق ابي، فإنني لماثل لديك
متوخياً مرضاتك، فقد سعت اليك لأقدم لك دمي مؤدياً
ما يجب كما ادبت ما وجب

ولعلمي ان أباً مات يستفزك للاقتصاص من ذنبي أبيت ان
أخبأ غريمك، فأقدمي وضحي لدمه بدم فتى يفاخر بأنه هو
الذي أراقه.

شيان : آه... اني وان كنتُ عدوتك لا استطيع ملامك ،
لفرارك من العار، وعلى تنوع الألوان التي أذوقها من العذاب
لا اشكو منك بل ابكي لمصائبي
اعرفُ ما كان الشرف، وقد مسَّته تلك الشنعة، يدفع اليه
قلباً تحتدم فيه الحماسة

فأنت لم تفعل إلا ما يفعله الفتى الأبر، بيد أنك بجرصك
على واجبك علمتني الحرص على واجبي

اقدامك المشؤوم، والنصر الذي احرزته ادباني، فقد ثارت
لأبيك وصنت شرفك، ومثل ما عناك من امرك يعنيني من
أمرى، اذ ان لي شرفاً أصونه، وأباً انتقم له، يا ويلي، ان حي
لك هو الذي يؤيسني في هذه المعضلة، ولو ان مصاباً آخر
أيمني لوجدت نفسي في سرورها بلقائك سلوانها الاوحد،
وعزاءها الاوفى ولهان عليّ العسير من ألمي حين تمتد اليّ يد
عزيزة وتكفكف عبراتي . ولكن كُتب عليّ ان افقدك بعد
ان فقدته، فكفاحي لغرامي دين عليّ لشرفي، وذلك الواجب
الذي يؤدي بي أداؤه يضطرني الى العمل بنفسي على ثبورك
فلا ترتقب من شغفي بك ان يعوقني عن اخذك بجريرتك
ومهما يشفع لك حي فلا مناص لعزة نفسي ان تكافئ عزة نفسك
لقد أبديت بإساءتك إليّ أنك جدير بي فحتم عليّ وانا
اطلب قتلك ان اكون خليفة بك

دن لذريق : لا تؤجلي اذن ما يدعوك اليه الشرف، فهو يطلب
رأسي وانا اهبك اياه، فاجعله قرباناً لما يتخالفك من المأرب
السامي . يعذب لدي ورد الردي، ويسهل علي حكمه، اما انتظارك
بعد إجرامي الى ان يقضي القضاء فتقصير في حق مجدك واطالة
لتعذيبي، وغاية سعادتي ان اموت بضربة من يدك الجميلة

شيان : اني لخصمك ولست بجلادك، تُقدّم لي رأسك وما عليّ
أن آخذه، شأني ان اصوب اليه طعناقي، وشأنك الذود عنه
وانما أطلبه من غيرك لا منك، عليّ مناجزتك، وما عليّ عقابك

دن لذريق : دعي شفاعاة الحب فيّ لديك، وارجعي الى كرم عنصرك
فأجزيني من نفسي، يأبى ذلك الكرم يا شياني ان تستعيري
ساعد غيرك للانتقام مني، يدي هي التي اخذت بثأر أبي، وما
أحرى يدك دون سواها ان تأخذ بثأر أبيك

شيان : لك الله من قاس، علام هذا الاصرار، قد انتقمتم
بلا معين، وتعينني على الاقتصاص منك، لاقتدين بقدوتك
ولا صبرن حتى اقسامك فخر الانتقام، لا ابي ولا ساعدي
يقبلان بفضل حبك او يأسك

دن لذريق : وا حرّ قلباه من خلاف رأيينا في امر الشرف، الا
استطيع — جاهداً ما جاهدت — ان أظفر منك بهذه المنّة؟
بحق أبيك القتل، بحق ما بيننا من الوداد عاقبيني تشفياً،

او عاقبيني رحمة واشفاقاً، فإن عاشقك المنكود الطالع ليؤثر
الموت بيدك على البقاء وتبغضيه

شيان : رُح فلست لك بكارهة

دن لذريق : كان حقاً عليك ان تمقتيني

شيان : ما بيدي

دن لذريق : الا تبالين الملام وسوء المقالة، اذ يعلم الناس بأن ذنبي
اليك لم يذهب بجبك لي، ماذا تشيع عنك يومئذ السنة
الوشاة الحساد؟ اكرههم على السكوت، وتخلي عن الحوار،
فانقذي سمعتك بقتلي

شيان : ما ازدادُ الا حُسنَ احدثه بتركك حياً، وبودي ان
يرتفع صوت النميمة من اعماق ظلماته، فهو اذن سيرفع الى
السما كرامتي، ويستلين - حتى الوشاة - لجزعي اذ يعلمون انني
اعبدك واستعدي عليك، فَوَلِّ ووارٍ عن عيني السخينة من
الحزن ذلك الانسان الذي سافقده على انني احبه، اخرج في
سرٍّ من الناس تحت الليل، وحذار ان يروك فيتجنوا على
شرفي وليس للسعاية نهزة تنتهزها الا ترخصني في لقاءك هنا
فلا تجعل لها سبيلاً الى الريب

دن لذريق : تباً لي !

شيان : اذهب

دن لذريق : علامَ عزمتِ؟

شيان : اني وان كانتُ شعل الغرام تشغلني عن حنّي، سأبدل
ما في وسعي للأخذ بثأر والدي، ومع ما يقتضيني اداء هذا
الواجب من الصلابة، فان امنيتي الوحيدة هي ألا أقدر
على شي.

دن لذريق : يا لأعجوبة الغرام!

شيان : يا لنهاية البؤس!

دن لذريق : ماذا سامنا ابوانا من العبرات والحسرات

شيان : لذريق، من كان يظن ما أفضينا اليه ؟

دن لذريق : ومن كان يتنبأ ؟

شيان : بأن سعادتنا وهي على وشك ابرامها تنقضي

دن لذريق : وان املنا على مقربة من الميناء، وفي تمام الصفاء يسطو

عليه عاصف مفاجئ فيحطمه

شيان : آه من الآلام المهلكة!

دن لذريق : آه من عبث الأسف!

شيان : اليك عني . اليك عني . لن أصغي اليك

دن لذريق : استودعك الله . سأمضي لاعاني حياة خيرٌ منها الحماَمُ

ريثما يسلبنيها القضاء بخصومتك

شيان : اذا تحقق مرامي فعهدي اليك انني لا أرضى بالبقاء بعدك

هنيهة . وداعاً . اخرج واحرص ان يراك احد

الفيرة : سيدتي . مهما يُحق بنا من الكوارث...
شيان : لا ترعجيني بعد، دعيني اتنفس الصعداء، انما تعاتي
السكون، وحاجتي الليل ابكي تحت أستاره

المشهد الخامس

دن دياج

دن دياج : لن يتسنى لنا أن نذوق غبطة غير مشوبة، ولا نتحقق
امانينا الا وتخالطها الكتابة، فكلمنا واتتنا حوادث الدهر تخللها
من الموم ما يكدر علينا صفو مسراتنا

قد تمت لي الهناء وريب الزمان ينغصها علي . اسبح في
بحر من الابتهاج وارتعد من الخوف . رأيت العدو الذي
أهانني قتيلاً، وليس بوسعي ان ارى اليد التي ثارت لي منه،
ابحث عن ولدي مُعملاً فكري في طلبه ولا اجده، ومع
كوني متداعياً على حقوي انشده في كل مظنة بالمدينة، اذيب
ما أبقت لي الايام من الهمة الواهية في ابتغاء نظرة انظرها
الى هذا الظافر؛ في كل ساعة وفي كل مكان تحت هذا الظلام
الدامس أتحيل انني أعانقه فما أعانق الا طيفاً، فيخيب املي
هذا التصور الخادع، وتخلق في أوهام تضاعف وجلي، ولا
أقف على أثر لفراره، أخاف عليه من اصدقاء الكنت واتباعه

فهم غير قليل وكثرتهم تبلبل ذهني . لذريق إما قتيل واما
سجين يا لله... خدوع بصري بما يلوح لي، او هو سليلي
ووحيدي وأملي اراه مقبلاً . لا ريب انه هوة
استجيت أدعيتي وزالت مخاوفي وهدأت اشجاني

المشهد السادس

دن دياج - دن لذريق

دن دياج : لذريق . حمداً لله، ما كان أظماني الى رؤيتك
دن لذريق : وا اسفاه!

دن دياج : لا تمزج حزناً بسروري، وامهلي حتى ينطلق لساني
بالثناء عليك، فقد وقفت من البسالة موقفاً لا تنكره عليك
بسالتي، وحدوت حذوي بجرأتك الباهرة . لقد بُعث بك ابطال
يُباهى بهم تحتدي، منهم تحدثت ومني تلقيت الحياة، ضربة
منك وهي الاولى عادت جميع ضرباتي ونمت عن صدق
حميتك، واتقاد عزيمتك، فبلغتك في اول بلاء غاية شهرتي، يا
ركن شيخوختي ويا ذروة سعدي، المس هذه اللمة البيضاء
التي أعدت اليها كرامتها . تعال قَبِلْ هذا العارض واعرف
المكان الذي نضحت عنه فُحوت أثر الوصمة منه

دن لذريق : ذلك الشرف اليك مرجعه، انني لأسئلك ورييب نعمتك
وما كنت لأفعل أقل مما فعلت، فأنا مغتبط بما ارضاك عني،
ويزيد اغتباطي ان ضربتي الاولى قد أعجبت من احسن الي
بالحياة . ولكن أجز لي بين مسراتك - ولا تأخذك الغيرة -
ان أجسر وأنفس من كربتني، وأذن ليأسي ان ينطلق من
مكمنه على ما جهدت في كلامك من تهوينه علي؛ ما بي
من ندم على ما قدّمت من خدمتك، ولكن أعدني الي النعيم
الذي سلّبتني هذه الفتكة؛ تسلّح ساعدي لثأرك ولم يعفّه
غرامي، فضرب الضربة وقد آب منها بفخار، ولكنه اودى
بنفسي، فلا تردني حديثاً . قد خسرت من اجلك كل شيء،
وكل ما كنت به مديناً لك قد رددته عليك

دن دياج : ارفع الى غاية اسمي، آية ظفرك؛ اعطيتك الحياة واعدت
الي الشرف، فبقدر ما يفضل شرفي الحياة عندي رجح فضلك
علي اليوم فضلي عليك بالامس، فأحر بك ان تستأصل هذه
النزعات الضعيفة من قلبك النبيل، ليس لنا الا شرف واحد .
اما المعشوقات فما اكثرهن؛ انما الحب متاع ولكن الشرف
واجب مقضي

دن لذريق : ويحي . ما تقول ؟

دن دياج : اقول ما ترغب في معرفته

دن لذريق : أما كفاني ان انتقامي لشرفي جاء انتقاماً مني حتى تسومني

تبديلاً في هواي، الخيانة في الحب من شيمة المحارب الرعديد
والعاشق الغادر، فلا تلحق بوفائي ظنة تمسه، واعتدني كريم
النفس، ولا تسمني النكث بالعهد . لعلاقتي امكن من ان تنفصم
بمثل ما تصف، ولو فاتني فيها الامل، لكن بدمتي مدعاة الى
الحفاظ، فأماً وانا من هواي بحيث لا املك شيان ولا اطيع
عنها صبراً، فقد اصبح الموت - وهو مبتغاي - اخف آلامي
دن دياج : لم يحن الوقت لتلتمس الحمام، فإن مليكك ووطنك
في حاجة الى ذراعك . الاسطول الذي ذاع نبأه قد دخل
الميناء متوهماً انه يفاجئ المدينة وينهب البلاد

سيهبط المغاربة ويهاجمون اسوارنا بلا جلبة مستعنين بمد
البحر ومدد الظلام . القصر في اضطراب والشعب في هلع،
لا يُسمع الا صخب، ولا يرى الا دموع، وفي هذه الفوضى
العامة أتاح لي التوفيق ان وجدت في بيتي خمسمائة من اصحابي،
قدموا جميعاً حين علموا بما حلّ بي، يحدوهم الولاء، ليعرضوا
عليّ الاخذ بثأري، على انك سبقتهم ولكن سواعدهم الشديدة
تؤثر الاضطباع بدماء البربر، فامض وسر على رأسهم الى
حيث الشرف يهيب بك، ان عصابتهم الكريمة لتأني سواك
زعيماً . اذهب وذد صدمة أولئك الاعداء القدماء، فان اردت
الموت فالقه هناك كريماً، انتهز هذه الفرصة وقد سنحت لك،
واقرض مليكك سلامته بتهلكتك بل عد من ذلك العراك

وعلى جبينك الغار، ولا يُقَصَّرْ مجدك على الانتقام من اساءة،
 بل تَوَخَّ له غاية أبعد، وأكره بشجاعتك ذلك الملك على
 الغفران وشيمان على السكوت؛ وإذا كنت محباً لها، فاعلم
 أنَّ عَوْدَكَ مستظهِراً هو الذريعة المثلى لتملِّك قلبها . على ان
 الوقت أعزّ من ان يضاع في الكلام . دعنا من الإطالة وطر
 الى المعترك . تعال اتبعني . سر الى القتال وأر المليك ان ما
 فقدته بالكنت يجده فيك



الفصل الرابع

المشهد الاول

شيان - الفيرة

شيان : أليست اشاعة مكذوبة ؟ أنت على يقين يا الفيرة ؟
الفيرة : لا تكادين تصدقين ما بلغه من اعجاب الناس ، فهم بصوت واحد يرفعون الى السماء شهرة هذا البطل الفتي وفخر موافقه . لم يظهر المغاربة امامه إلا ليبوءوا بالفشل المخجل ، سرعان ما وفدوا وسرعان ما انهزموا . دام القتال ثلاث ساعات ، فتركوا لابطالنا الكلمة العليا ، وخلفوا ملكين اسيرين ، وكان اقدام ذلك الزعيم لا يدع عقبة الا ذلها

شيان : ويد لذريق هي التي أتت تلك الايات ؟
الفيرة : كان ذانك المملكان ثمناً لبلائه الحسن ، يده قهرتهما ويده أسرتهما

شيان : من اين سمعت هذه الأنباء المدهشة ؟
الفيرة : من الشعب الذي يتغنى بشجاعته في كل مكان ، ويصفه بأنه موطن عزه ومجد فخره ، ويدعوه بحارسه الامين ومنقذه
شيان : وماذا يرى الملك في هذا الاقدام الرائع ؟

الفردة : لم يحسر لذريق ان يمثل في حضرته، ولكن دن دياج سيقدم
له الملكين الاسيرين، وسيلتمس من سماحته وكرمه ان يتفضل
ويأذن لحامي حماه بلقائه

شيان : ولكن ألم يحرج في الكفاح ؟

الفردة : لم اعلم بشي، من هذا . أراك ممتعة الوجه . عودي الى
رشدك

شيان : ولأعد ايضاً الى حنقي الذي هدأت فورته، فهل علي
للاعتناء به ان انسى واجبي ؟

يمدحونه ويمجدونه . قلبي عن ذلك راضٍ، وشرفي صامت،
وهزتي للواجب وانية

فصه يا غرامي . دع غضبي يفعل أفاعيله، لئن كان قد أسر
ملكين، لقد قتل ابي . وهذه الشياب السوداء التي اقرأ فيها
آية يُتَمي هي الهدايا الاولى التي اهدتها إلي عزمته الماضية .
ينعت الناعتون في الخارج قلبه النبيل

ولكن كل شي، حيالي يذكرني جريمته

ألا أيها الاشياء التي تهيج في الضغينة من مقانع وحرير
وثياب هي زينة الحداد . وأنت ايتها المفاخر والمظاهر التي
تحدثها نصرته الاولى أدبلي لمجدي من غرامي، فاذا غلبتني
الصبابة على أري فراجعي فكرك وأذكربني واجبي الاليم

وأطعني غير هيابة موقع تلك اليد القاهرة من نفسي
الفيرة : هدي روعك، قد وفدت بنت الملك

المشهد الثاني

بنت الملك - شيان - ليونورة - الفيرة

بنت الملك : لست قادمة اليك لتسكين آلامك بل لأمزج زفراقي
بزفراتك، ودموعي بدموعك

شيان : أخرى بك يا مولاتي ان تصيبي قسطاً من السرور العميم،
وان تذوقي السعادة التي جاءتك بها العناية

ما لغيري ان يحزن في هذا الوقت ، فقد استطاع
لدريق ان ينقذنا من الخطر، وردت عليك أسلحته أمن
البلاد وسلامتها، فأنا وحدي اليوم يجوز لي ذرف العبرات .
حمى المدينة وخدم مليكه، ولم يكن بأس ساعده بوئساً
على غيري

بنت الملك : أي شياني، في الحق إنه اتى معجزات

شيان : لقد طرقت اذني هذه الأنباء المكدرة، وينتهي الى
سمعي ما يذاع عنه في كل مكان من انه بالغ من السعادة في
الحرب مبلغه من الشقاء في الحب

بنت الملك : وماذا يسوءك من هذه الاحاديث الشعبية، فان البطل
الذي تطريه قد اعجبك من قبل، وكان يملك فؤادك، ويعيش
تحت احكامك، فالإكبار لشأنه انما هو تشريف لاختيارك

شيان : لكل ان يثني عليه ولا حرج، اما انا فأجد في ذلك
الثناء تجديد العذاب، ويزداد المصض في نفسي بقدر ما يُعلنون
من شأنه إذا قيس ما خسرت بمقياس ما له من القدر. ما
أنكأ هذه الاشجان في لب الفتاة المتيممة !

كلما ازدادت معرفتي بمناقبه ازداد شغفي به، غير ان واجبي
ما زال هو الأقوى، وسيتعقبه الى ان يأخذ لي حقي على
غرامي به

بنت الملك : بالأمس رفعك هذا التثبث بهذا الواجب الى مقام
عليّ وبدا لاهل العصر من نبل مجهودك وحسن جهادك لنفسك
ما ملأ قلوبهم اعجاباً بك ورتاء لصبابتك، ولكن هل لك
ان تنتصحي بنصح وديّ صادق ؟

شيان : من الاثم ألا اطيعك يا مولاتي

بنت الملك : ما كان بالأمس حقاً ليس اليوم بحق . قد اصبحت لذريق
سندنا الاوحد، واليه اتجه الهوى والامل من شعب يعبده،
فهو أمن قشتالة وخوف المغاربة . للملك نفسه من عالي الرأي
فيه ما لأمته

وكلهم يجمع على حقيقة هي ان أباك قد بُعث فيه وحده

واذا رغبت في بيان اصرح اوجزت لك بكلمتين : انك
باصرارك على اهلاكه تهدمين سمعتك في البلاد ؛ اذ يقولون :
أمن اجل الانتقام لأبيها تدفع بأوطانها الى ايدي اعدائها ؟
أمشروع منك ان تطالبي بما فيه بوارنا ؟

وهل نحن ضربنا بسهم في الجناية عليك ؟ لا ازعم انك على
هذا مضطرة للاقتران برجل كنت تطالبينه بدم ابيك بل
أود لو استطعت ان ازيل من نفسك هذه المكابرة . ذودي
عنه غرامك، ودعيه لنا حياً

شيان : آه اليس من شأني ان اسعه برحمتي ، وليس واجبي
بالمطلب الذي يحصره حيز . نعم ان قلبي يشفع لهذا الظافر
وان لنا شعباً يعبدده ، وملكاً يلاطفه ، ولكنني لو احاط به ابسل
المحاريين لأويت الى ظل السرو الذي أدفن فيه ، وسودت
يعاره اكاليل غاره

بنت الملك : انها لمكرمة منا ان نبغي الانتقام لأب نبرّ به ، فنطلب
في ديتة رأساً يعزّ علينا ، غير اننا نأتي مكرمة اسنى واسمى
عند ما نبيح دمنا خدمة للأمة

لا وصدقيني انك اذا أطفأت لاعج هواك ، وسرحته من
فؤادك عاقبته اشدّ العقاب ، ليسمك حبك للبلاد هذا التجاوز
ومع ذلك ماذا تظنين ان يمنحك الملك ؟

شيان : له ان يمنع ، ولكنني لا استطيع الخنوع

بنت الملك : فِكْري ملياً يا شياني في شأنك، استودعك الله وأدعك

تتروين في امرك علي مهل

شيان : بعد ان قتل ابي لا خيار لي في امري

المسرح الثالث

دن فرنان - دن دياج - دن ارياس - دن لذريق - دن سنش

دن فرنان : أيها الوارث الكريم لأسرة عريقة في المجد كانت وظلت

على الايام فخراً وذخراً لقشتالة . يا خير سليل لاجداد اشتهروا

بإقدامهم

لم يجُلْ جولته الاولى في مضمارهم حتى بلغ شأنهم

ليت لي من القدرة ما احسن به جزاءك

وهيهات ان يفي ما لي من الطول بما لك من الاستحقاق

ثنيت عن البلاد عدواً قوياً الشكيمة، وثبتت بيدك صولجاني

في يدي . دحرت المغاربة ولما يبدُرُ مني امر بصدّ هجماتهم

وردّ غاراتهم، فلم تبقى تلك الهمم لربّ هذا الملك ذريعة

ولا املاً ان يُقابل احسانك باحسان . ولكن ملكين

اسرتهما سيكونان ثوابك، فقد دعواك في حضرتي بالسيد

والسيد في لفتها يعني الغطريف الصنديد، فلن انفس عليك
شرف هذا اللقب

كن منذ اليوم السيد، وليخضع كل لهذا الاسم العظيم
وليغمر من الرعب غرناطة وطليلة، وليدل جميع الذين
يشملهم سلطاني على ما انت به خليك، وما انا به لك مدين

دن لذريق : ليتفضل جلالة مولاي ويقتصد في اخجالي، انك لتسدي
الي من الثواب ما تقصر دونه خدمتي وتستحييني تجاه هذا
العاقل العظيم من قلة ما أجدر به من اللطاف ووفرة ما
يعطي، وما انا من يجهل حق الملك وحق سعادته على الدم
الذي يجر كني والهواء الذي اتنسمه . فلو وهبتهما في التماس
ذلك المأرب الأسمى لم اقم بأكثر مما يجب على كل من التبع
دن فرنان : ليس كل من يدعوه هذا الواجب الى خدمتي بمضطلع
بها كما اضطلعت، ومبدئ من البسالة ما ابديت

واذا الشجاعة لم تفض الى الافراط في المغامرة لم يدرك بها
مثل هذا النجاح، فلا يشق علي ان تمدح، ووصف لي باسهاب
ما كان من امر هذا الفوز المبين على حقيقته

دن لذريق : علمت يا مولاي حينما أخط الخطر، والقي في المدينة من
الرعب ما القى، ان عصابة من الاصدقاء التقت لدى والدي،
ورغبت الي في زعامتها على ما كان لي من الاضطراب ولكن

يا مولاي اغتفر لي بدءاً ان اجترأت على تسييرها من غير
اذنك فقد وضح عذري، اذ كان الخطب داهماً، والعصاة
متأهبة، فلو جئت القصر لكان رأسي عرضة للسقوط . ولماً
لم يكن لي بدء من فقده، آثرت ان افارق الحياة مجاهداً
في سبيلك

دن فرنان : اعذر زماعك في الانتقام لأبيك، وهذا ملكي الذي
سددت ثغره يخاطبني في الدفاع عنك، فأيقن ان شيان - قائلة
ما قالت بعد اليوم - لن تسترعي سمعي، ولن اعمد الا تعزيتيها .
امض في حديثك

دن لذريق : سارت تلك العصاة تحت إمركي وعلى وجوهها آية ثقتها
بأنفسها . كنا خمسمائة فما حصلنا في الميناء حتى تمت عدتنا
ثلاثة آلاف من أناس رأونا نمشي الى الكفاح بملك الوجوه
الصباح، فعاودت الشجاعة من زايسته منهم . خبات ثلثيهم منذ
ادر كنا المرفأ في بطون المراكب التي كانت راسية، واقررت
الآخرين ومن توافد على الولا . من الاعوان، فلبشوا حيالي
متحرقين الى الصدام، لاصقين بالثرى، لا يسمع لهم دوي
ولا ركز، يمر بهم الهزيع تلو الهزيع من تلك الليلة الشائقة .
كذلك توارى بأمرى العسس لازمين كمينهم لاستكمال الحيلة،
وفي كل ذلك زعمت انني تلقيت منك الأمر، فامتثلته
ونقلته اليهم جميعاً

لم تَعْتَم تلك الانوار الضئيلة التي تتحدّر من الكواكب
ان اَرْتنا ثلاثين شراعاً يقدمها مدّ البحر. طغى الموج تحت
المراكب ورمى بالمغاربة والقوارب، فتركناهم يبحرون لا
يتحرك مناساكن، ولا يبدو لهم حرس في الميناء ولا جندي
على اسوار المدينة. خدعهم صمتنا، وانقطاع الانفاس، فلم يشكّوا
في انهم اخذونا على غرّة

دنوا من البرّ بلا حذر، والقوا مراسيهم وتدّفقوا متراكضين -
وما يظنون - نحو ايدي القنّاصة الراصدين، فهبّنا عندئذٍ
إلباً واحداً، وقرعنا اسماعهم بألف صوت جهير، وصدعت عنان
السما صيحة رائعة ردّدها رجالنا الكامنون في مراكبنا، ثم
اقبلوا مدججين، فاختلط حابل البربر بنا بلهم واخذتهم الرعدة
قبل ان يتم نزولهم وشعروا بهلاكهم قبل المقاتلة

اوضعوا واخبوا ييغون النهب، فإذا هم يلاقون تعبئة حرب،
فأخرجناهم على الماء، وزحمتهم على البرّ، واجرينا من دماهم
انهاراً قبل ان يقاوم احدهم او يرجع الى صفّه؛ غير ان
امراءهم لم يلبثوا ان ضمّوا شتاتهم فبُعِثت الشجاعة فيهم،
وزالت مخاوفهم، وغلب الحياء عليهم من لقاء الحما قبل
الصدام، فتألّفوا من اختلاط، وراجعهم بسالتهم، فصمدوا اليّنا
بأقدام ثابتة، وامتشقوا سيوفهم ودرّ من دماهم ودماثنا مزيج

يعج متلاحماً، فإذا البحر والنهر واسطولهم والميناء حومات
المتناحرين، تتبارى بينهم المنايا

شهد الله كم كرّ وكم اقدام لم يشهد روائعهما الا الظلام .
اذ يفتك كل فاتك قدير ولا شاهد له الا نفسه وما يدري
ايّ منقلب ينقلب الجلالد في عقباه . وكنت اتجه كل متّجه
مشجعاً رجالنا . ادفع اناساً آخرين واسلك القادمين للنجدة في
الصفوف وأظاھرهم ثم أرمي بهم الى الامام، فلم أثبّين نتيجة
القتال الا طلعة الفجر . تألق الضياء فكان الاقبال في جانبنا،
ورأى المغاربة سوء مصيرهم، ففّت في سواعدهم، وراهم
تقاطر الأعوان اليّنا في اثر الأعوان، فغلب خوف المنون
على الرغبة في الاستظهار، وتراجعوا الى مراكبهم يقطعون
مراسيها، ويجأرون جأرات دوت اصدائها في الآفاق . ثم
نكصوا على الأعقاب غير مبالين ما آل اليه مليكاهم المتخلّفان،
صدفهم الهلع عن الصبر للواجب، وكما أدناهم المدّ منا اقصاهم
الجزر عنا، على ان مليكيهم ظلّا مشتبكين بنا والى جانبهما
جنود مشخّنون جراحاً، يكافحون كفاح الصناديد، ويبيعون
أعمارهم بأعلى الأثمان، فأهبت بهما غير مرة ادعوهما الى التسليم
ولكنهما أبياه والسيّفان مصلتان، حتى اذا رأيا فلول جيشهما
صرعى مجدلين ولبثا منفردين لا يغني منهما الجلد ولا المكابرة

طلبا الزعيم . فتسميت لهما، فسماها، فسيرتهما كليهما اليك في
آنٍ وانتهى القتال بفناء المقاتلين
على هذه الصورة تصديت للخدمة...

المشهد الرابع

دن فرنان - دن دياج - دن لذريق - دن ارياس - دن النس - دن سنش
دن النس : مولاي ، شيان تلتمس المثل لعرض شكواها
دن فرنان : خبر سيي وواجب ثقيل !
انصرف ، لا اريد اكرأها على رؤيتك ، ويتعين عليّ بدلا
من الشكر ان اقصيك الآن عن حضرتي ، ولكن قبل ان
تخرج تعال ليُقَبِّلِكَ الملك (دن لذريق يخرج)
دن دياج : شيان تتبعه وتود نجاته
دن فرنان : قيل لي انها تهواه ، وسأختبر هواها ، أرها عيناً مكتئبة

المشهد الخامس

دن فرنان - دن دياج - دن ارياس - دن سنش - دن النس - شيان - الفيرة
دن فرنان : لك البشرى وان ابطأت يا شيان ، فقد نجح الله قصدك

وقضى لك وطراً . انتصر لذريق على اعدائنا، ولكنه توفي تحت
بصرنا من اثر الجراح، فاحمدي الله الذي ادال لك (الى دن دياج)
انظر كيف شحب لونها لهذا النبا

دن دياج : وانظر كيف اخذتها الغشية من شدة هواها، ثم اعجب
يا مولاي من ظاهر النعم عليها، قد هتك حزنها سرائر نفسها،
ولم يترك لك ريباً في هيامها

شيان : أمات اذن لذريق ؟

دن فرنان : لا . لا . إنه ما زال حياً، وما زال محتفظاً بعهده،
مقيماً على وده، فرفهي عنك، وإطّني من جزعك عليه

شيان : مولاي، يُدار بالمرء من الفرح كما يُدار به من الترح،
وفرط الجذل اذا فاجأ النفس ملك عليها حواسها، واوهى
شغاف القلب

دن فرنان : ترومين يا شيان تصديق ما تكذّبه شهادة العيان وقد
ظهر عليك الأسى بأجلى مظاهره

شيان : ايه يا مولاي، أضف هذا الظن بي الى شدة تعسي وهب
الغاشية التي غشيتني جزعاً عليه فان حزني — ولي فيه كل
العذر — قد ارا بكم في كنه أمري، وانما فجعني نعيه لسقوط
رأسه في غير وتري؛ ولأنه لو أودت به جراحه في سبيل
البلاد لفسد انتقامي واخفقت مساعي. تلك ميتة كريمة اراها

غير عادلة في حقّي، اما التي اريدها له فميتة لا يصحبها فخار،
ولا تحيط بها أبهة ترفعه الى أعلى الذرى، ميتة تدركه
لا في ميدان الشرف بل على المقصلة . فليُقتل من اجل ابي
لا من اجل الوطن، وليكن اسمه ملوثاً وذكراه مشينة . امّا
ضيعة العمر من اجل الوطن فليست بغبن بل هي الخلود في
ابرع صورة للفناء، فخليقُ بي ان اغتبط بانتصاره، ولا جناح
عليّ، اذ انتصاره يعزّ الدولة، ويردّ على غريمي عالي القدر في
الرجال، مرفوع الذكر في الابطال، متوّج الرأس لا بالازهار
ولكن بالغار، أليق ما يكون قرباناً لبقايا والدي، يا ويحي لقد
أبعدت مرمى املي . هل على لذريق بأس يخشاه مني وما عليه
من دموع انما تترى على ذرافها

قد اصبح الملكُ بأسره مأمناً له ومعتصماً، وكل حرام عاد
له مباحاً تحت سلطانك، استظهر عليّ كما استظهر على الاعداء،
واراق من الدماء الزكية ما شرف به العدل حتى اختنق،
فلم يكن جزاء المنتصر - على جرائمه - إلا حلية جديدة
اضيفت الى حلاه وزينة ذات بهارج، مشيناً فيها بكره الانصاف
وراء مركبة الظافر يحفّ بها ملكان اسيران

دن فرنان : يا ابنتي جاوزت الحد في سورة غضبك، امّا موقع
الاحكام فشانه ان يزن القضايا بميزان النزاهة

فقتل أبوك إلا أنه المعتدي، وتلقاء ذلك يأمرني العدل بالرحمة
فشاوري قلبك قبل أن تتهمني في ما بدا مني، ولا جرم أن
الغرام الذي تنضم عليه جوانحك يحمي المليك لابقائه على
عشيق لك، ناهيك به من عشيق

شيان : إبسبي تبق على عدوي، على مثير حنقي، على مسبب
مصائبي، على قاتل أبي . أنك لا تقدّر مسلكي القويم قدره
وتحسبني شكوراً لإعراضك عن ظلامي

فأما وانت لا تُشكيني مما اشكو اليك بدموعي، فأذن يا
مولاي أن الجأ إلى السلاح؛ هو بالسيف الحق بي العار وأنا
بالسيف اتقاضى الثأر، أني لأطلب رأسه من جميع فرسانك .
اجل ، ومن جاءني به كنت له حليّة، فليبارزه يا مولاي،
فمن انتقم لي من لذريق رضيت به قريباً

دن فونان : تلك العادة القديمة التي اصطلح عليها قومي، وزعمهم أنها
تأخذ للمظلوم من الظالم، تضعف الدولة، وتحرمها خيرة ابطالها،
على أنه يغلب من جرأ. هذه العادة الذميمة أن البري، يهضم،
والأثيم يعظم، فأنا أعني منها لذريق وهو أكرم عليّ من
تعريضه لتصاريف لا تؤمن بدراتها . لئن يكن لذلك القلب
النبيل ذنب لقد ذهب به المغاربة وهم منهزمون

دن دياج : مهلاً مولاي، أمن أجله وحده تغير شرعة جرى عليها

اهل البلاط قديماً وما فتئت مرعية. فما يظن شعبك وما يقول
الحساد اذا اطاع لذريق نهيك وارعى على حياته، واتخذ منه
عذراً ليكون بمفازة حين يخوض اولو الشرف والاياء غمار
الحومات في التماس ردى كريم؟ ان مثل هذه المحابة لتمسه
في مجده مساً مبرحاً، فدعه يتذوق ثمرات فوزه بلا تنغيص.
قد اعتدى الكنت على ابيه فتوّل عنه جزاءه، وابلى في
لقائه بلا. الباسل، فليكن باسلاً الى النهاية

دن فرنان : إجابة الى طلبك آذن ان يبارز، ولكنه قد يغلب
واحداً فيحلّ الف محله؛ لان وعد شيان يستعدي عليه فرساني
بأسرهم، فليس من العدل تصديّه وحده لهم جميعاً. وحسبه ان
يدخل في نزال واحدٍ

اختاري يا شيان من تشائين، واحسني اختيارك، فإذا انقضى
هذا الكفاح فلا تسأليني مزيداً

دن دياج : لا تجعل امرك هذا عذراً لتبجح الذين يخشون بأسه.
ودع الميدان مفتوحاً. اذن لا يدخله احد، فبعد الذي ابداه
لذريق اليوم، من القرم العنيد الذي ينبري له؟

من الذي يغامر بحياته في لقاء قرن مثله؟

من يكون ذلك المقدام او ذلك الجسور؟

دن سنش : مروا بفتح الميدان . انا ذلك المقتحم . انا ذلك الجسور
او ذلك المقدام . جودي بهذه المنة على من يشتعل قلبه بهواك ،
وتذكرني يا سيدتي وعداً استنجزه

دن فرنان : شيان ، اتجملين قضيتك بين يديه ؟

شيان : مولاي ، سبق الوعد

دن فرنان : تأهب لعد

دن دياج : لا يا مولاي ، لا يحسن الإرجاء ، والشجاع الحق يكون
على اهبة في كل آن

دن فرنان : أخرج من جهاد ، ويدخل في جلاد على الأثر ؟

دن دياج : قد استجيمٌ لذريق مدة ما قصٌ عليك الواقعة

دن فرنان : فليسترح ساعة او اثنتين ، وحذار من ان يعدّ هذا
البراز قدوة يقتدى بها ، ليعلم كل قاصٍ ودانٍ اني بغير رضاي
ابحث امرأ لا يليق بي

فلن اشهد هذه المكافحة ، ولن يشهدا رجال قصري .
(الى دن ارياس) انت وحدك تحكم في اي المتبارزين أبسل وتحرص
ان يتصرف احدهما تصرفاً يأباه الكرم ، فاذا انتهى النزال
احضر اليّ الغالب ايها كان ليصيب الجزاء الموعود ؛ اريد ان
اقدمه لشيان بيدي ، فتكافئه بالمعاهدة على القران

شيان : رحماك مولاي، أتلزمني هذا الحكم القاسي :

دن فرنان : تشكين، ولكن حُبَّك ينكر عليك الشكوى ويقبل
بلا اكراه لذريق اذا عاد ظافراً، فدعي التأفف من حكم
يستعذبه قلبك

وأيّ النديّين عاد منتصراً سأجعله لك قريناً



الفصل الخامس

المشهد الاول

دن لذريق - شيان

شيان : أأنت يا لذريق، وفي رائعة النهار؛ أتى لك هذه المرأة؟
اذهب او تفقدني شرفي . إنصرف عني، ابتهل اليك مستعطفة
دن لذريق : انا ذاهب الى الموت يا سيدتي، وقد جئتُك في هذا
المكان لأودعك آخر وداع قبل ان اتلقى الضربة القاضية.
وان هواك لأثبت في فؤادي من ان ارى الردى، ولا اجعله
لك فدى

شيان : اتمضي الى الموت ؟

دن لذريق : سأبادر الى تلك الهنيئة الهنيئة، اقدم فيها حياتي لشفاء
احقادك

شيان : تمضي الى الموت ! اترى في دن سنش من شدة البأس
ما يحدث ذعراً في قلب لا يقهر ؟ ماذا اوهنك الى هذا الحد
او ماذا قواه الى هذا الحد ؟

الذريق يذهب للنزال فيتوهم انه قتل ولما يُقتل ؟

اذاك الذي لم يخشَ المغاربة، ولم تأخذه الرهبة من ابي يمضي
للقاء دن سنش فييأس قبل مظنة اليأس ؟

وعلى هذا فقد تكون حالة ينخلع فيها قلبك

دن لذريق : ابادر الى العذاب لا الى القتال، وصدق هوايَ لك قد
ازال ولا ريب من نفسي ادنى رغبة في بقائي حين تطلبين مماتي .
قلبي هو هو، ولكنني لا ساعد لي احفظ به ما لا ترضين
عنه . في الليلة البارحة اوشكتُ ان ألحقَ بالفارين لو كانت
المنأوة في شأنٍ لي، فاما وقد كنت اذود عن ملكي وشعبه
وبلادي فقد خشيت ان اخونهم بسوء الدفاع عن نفسي، وفي
قلبي من الكرم ما لا يبيّض الحياة عليه الى حد ان يخرج
منها وقد اقترف غدرأ

امأ الآن والمسألة لا تعدو مصلحتي بانفرادي، فأنت تتقاضين
موتي، وانا امثل لقضائك، وقد تقاضاك الحق الى ايثار يد
غيرك — اذ لم اكن خليقاً ان اموت بيدك — فلن اصدّ عني
ضربات ذلك الخصم اذ هو احق ما اراه برعايتي لانه يقاتل
في سبيلك، واجدل ما اكون لعلمي ان ضرباته آتية منك،
وان سلاحه يشهر في سبيل شرفك . وسأكشف له صدري
لا يقيه مجنّ . وسأعبد في يده يدك التي تُودي بحياتي

شيان : اذا كان واجبي الأليم، وقد اثار بي غضباً مشروعاً
وحداني على هذه الخصومة، قد حكم هذا الحكم القاسي على

جَبَّكَ لِي، فحال دون ذَوْدِكَ عن نفسك من هجوم المطالب
بحقي، فلا تنسَ في هذه الضلالة التي غَشَّتْ على بصرك ان
الخطب لا يقتصر على حياتك بل يتناول مجدك . وان حسن
سمعتك بالغاً ما بلغ في ايامك لن يدفع قول الناس اذا قُتِلَتْ
إنك غُلِبْتَ، ولا جرم ان شرفك احب اليك مني، اذ انه غمس
يديك في دم ابي، وجعلك على هيامك بي تؤثره على قربي،
ومازلت - كما ارى - لا تحسب لهذا الشرف ادنى حساب،
فتأني ان تُحسن البلاء في القتال، وترضى ان يُنال منك، فاي
تباين في الخلق يوهي عزة نفسك، وعَلامَ تخلّيتَ عنها ؟ او
علام تخلّيتَ بها قبلاً . عجباً ! أَلست اسداً الا علي ؟ فإذا
خلا النزال من اساة الي فارقتك البسالة

أيهون عليك والدي وانت غالبه، فَتَسْتَسْهِلْ بعده ان يغلبك
احد . امض غير مصرٍّ على الموت، ودعني اتعقبك . وان لم
تكن راغباً في البقاء فلا يفتك النضح عن شرفك

دن لذريق : بعد مقتل الكنت واندحار المغاربة أَيْتَطَّلِعْ مجدي الي
المزيد ؟ لي ان اهل الدفاع عن نفسي بعد ان شهدت موافقي
بكفائتي لكل عزيمة، ومضائي في كل مهمة، وبأنه ما من
شيء تحت السماء يعزّ علي اكثر من شرفي

لا . لا . والأمر على غير ما تتوهمين، يقضي لذريق في

هذا النزال موفور الكرامة، لا يجرؤ احد على اتهامه في شجاعته، ولن يُعدّ مغلوباً، ولن يعرف له غالب. وانما سيقول القائلون: « كان يعبد شيان، فلم يرض بالعيش وهي عليه حانقة، فاستسلم مختاراً لأمر التصارييف، وقد ابت هذه على معشوقته ألا ان تبغي هلاكه؛ ارادت رأسه فأوحى اليه قلبه النبيل انه اذا ضنّ به عليها اذنب اليها، فلا نقاذ شرفه اضاع غرامه. وللأخذ بشار مُتِمِّمته وهب عمره، لم يكثرث للأمل يخامر نفسه المشغولة بها، وأثر شرفه على شيان وشيان على حياته». وهكذا ستعلمين ان منبتي في هذا الثقاف لا تشوب مجدي بشائبة بل تريده سُطوعاً، ولي شرف آخر يعقب موتي الطوعي، وهو انه لم يكن في وسع آخر سواي ليرضيك

شيان : اما وليس حياتك ولا لشرفك نهني عليك، ولا امر في الاستبسال، فإذا كنت قد هويتك يا حبيبي لذريق، فاجعل عوضي من هذا الحب ان تذود عن نفسك لتنفذني من دن سنش. قاتل لتحررني من رق من لا احب. أأزيدك على ما قلت : اذهب، ونازل، وفز لتغلبني على واجبي، وتكرهني على الصمت، واذا كنت تشعر بان قلبك ما زال مشغولاً بي فاخرج ظافراً من نزال جزاؤه شيان، استودعك الله. هذه

التي بدرت مني يندى لها جيبيني

دن لذريق : أيّ عدو لا أكبح اليوم مجاحه !

تعالوا يا اهل نافر والمغرب وقشتالة وفرسان اسبانيا
وصناديدها اجمعين، تألبوا إلّياً واحداً، واجمعوا جيشاً عرمرماً
لتقاتلوا ساعداً مسلحاً بمثل ما سلح به ساعدي . ضموا اشتات
قواكم في وجه امل عذب كأمني، فما والله تكفون بأسركم
لتنالوا منه منالاً

المشهد الثاني

بنت الملك

بنت الملك : أأظل مصغية اليك يا حرصي على محتدي، وانت تعد
عليّ الحب ذنباً؟ أأستمع لك يا غراماً يهيج بسلطانه الموموق
اماني نفسي، ويستعديها على ذلك المستبد العاتي . مسكينة
ايتها الاميرة، ايّ الداعيين يجب ان تجيبي؟

لذريق، ان اقدمك يجعلك اهلاً لي، ولكنك على بسالتك
لست بسليل مليك، يا للدهر العشوم يفرق بين مجدي وصبابتي .
اكان في الظن ان غرامي برجل لا كفل له في الرجال يسوم
مهجتي اشجاناً كهذه الاشجان

وا ربّاه! كم من زفرة يجب ان يتها قلبى لتصعيدها اذا
فاتني بعد هذا العذاب المديد سلوة يخمد لوعتي، او قرب يبرّد

غلّتي، ولكنني افطمت في احترازي ويأبى ضميري ان يضع
موضع الزراية فتى بلغ ذلك المبلغ من الكفاية

نعم، ان نسبي يخص بي الملوك دون سواهم، غير انني يا
لدريق اعيش هانئة تحت ولايتك، وهل بعد انتصارك على
ملكين يفوتك ان تصبح رب تاج . او ليس اسم السيد الذي
لُقبْت به، وانه لعظيم، دألاً بلامراء على من يليق ان تبسط
سلطانك عليه . هو اهل لي ولكنه لشيان . وهبته لها هبة عاد
عليّ ضيرها، على ان قتله اباها لم يُثرَ بينهما من البغضاء الا
النزr اليسير بحيث ان واجب الاخذ بالثار يتعقبه آسفاً فلا
ننتظرن ثمة وان قلّت من جريمته ومن شغلي به اذ ان القضاء
لم يرق لي، واعلى كلمة الغرام على الرغبة في الانتقام

المشهد الثالث

بنت الملك - ليونورة

بنت الملك : علامَ جئت يا ليونورة ؟

ليونورة : جئت لأهنئك يا مولاتي بعود الصفاء الى نفسك

بنت الملك : ومن اين يأتي الصفاء في هذا الكدر الشديد ؟

ليونورة : اذا كان الهوى يحيا بحياة الامل، ويموت بموته، فقد
بطل سحر لذريق ويرى قلبك من رقاءه، فذلك النزال الذي
حشته اليه شيان على ان يقتل فيه، او يغدو بعلاً لها قد اودى
بأملك، ولكنه شفى نفسك

بنت الملك : آه ! دون ذلك مدى قذُفٌ

ليونورة : ابقى لك فيه مطمع ؟

بنت الملك : بل أي مطمع تحظرينه عليّ وفي وسعي ان اكيد كيدي
لحبيبة الامل الذي تعلل به في ذلك النزال، وما اكثر الحيل
التي يوحىها الغرام الى عقول العشاق الذين كابدوا تباريحهم

ليونورة : ما الذي تستطيعينه، وقد عجز مقتل ابنيها عن ايقاد
جذوة الشقاق بين قلوبيهما، وشيان تبدي في سيرتها اليوم، غير
متورعة، ان البغضاء ليست السبب في خصومتها، فقد فازت
بإباحة القتال، ورضيت من اجل عاشقها بان تكون زوجاً
لاول من يُقدّم لها . لم تلجأ الى سواعد مدربة قوية اصلبتها
المعارك الشهيرة المتعددة، واجترأت بدن سنش دون سواه
لانه سينتضي السلاح لأول مرة، استحبت منه انه عادم الخبرة
لم تسبق له شهرة بالجلاد، فأوردته بلا حذر ورد الأريب في
عقباه . وذاك عمل ليس مرماه بسر، فهي انما آثرت هذا النزال
ليقوم معه عندها في مخالفة ما يجب، هيأت به للذريق نصراً
ميسوراً حتى اذا أحرزه تظاهرت بالانضواء لامر القضاء

بنت الملك : لمحت هذا، سوى ان قلبي ينافس شيان في عبادة ذلك
الظافر، فأني شطر ترين ان اولي وجهي، وانا العاشقة المنكودة
ليونورة : تذكرني، جهدك، بنت من انت . إذا وعد الله لك
ملكاً أفشغلين قلبك بمن دونه مقاماً ؟

بنت الملك : قد تغير مرمى غرامي، فما شغني بلذريق من حيث لا
يعدو الرجل النبيل، كلا ويعيذه حبي ان اسميه بهذا الاسم،
إن اهوى الا صاحب الملاحم المرفوعة الذكر في الأنباء،
الشجاع الملقب بالسيد، الذي اصبح من اتباعه ملكان . على
انني سأغلب على نفسي، لا خشية الملام، بل صوناً لغرامي من
شبهة تعلق به . فلو انهم اصطنعوني، وزانوا لي مفرقه بالتاج
لأيت ان آخذ اليد التي اعطيت واذا كان محتوماً له الفوز
في عقبي ذلك التزال فلنمض ولنهبه مرة اخرى لشيان

اما انت التي رأيت مواقع السهام من قلبي، فتعالي واشهدي
كيف أتم ما بدأت

المشهد الرابع

شيان - الفيرة

شيان : الفيرة، ما اشد ألمي، وما اجدرني بالرثاء، لا اعرف
ما ارجو ويلوح لي كل ما اخشى . تبدرُ مني الاماني، فما

اجسر ان اتمناها وما ابتغي من شيء الا والندم العاجل لزامه
دفعت متناظرين في حبي الى امتشاق الحسام، وايهما افلح
اجرى سخين دمعي، ومهما يكن من ترقب ذات الغيب فإني
بين خطبين : ابي ولم ينتقم له، او عشيق وقد قُتل

الفيرة : بل اجد ان احدى العاقبتين ستخفف من برحائك .
فاما لذريق تفوزين بقربه، واما ثأرك تدركينه . ومهما يكن
من تصرفات الدهر في امرك، فهو اما يؤيد مجدك او يهب
لك حليلاً

شيان : واعجبا ! اذلك الذي امقته ام ذلك الذي اطالبه
بوتري ؟ اقاتل لذريق ام قاتل ابي ؟ احدهما يجعل لي قريناً
واتلقاه مخضباً باكرم دم علي . ثور نفسي من كلا الجانبين
وما اخاف الموت كما اخاف عقبي هذه الخصومة

يا انتقامي ويا حبي، اليكما عني، فقد قذفتما في روعي بلبالاً
لا تعادله لذة تستفاد منكما

وانت ايها المحرك القدير لما اشكو من تصارييف المقادير
اختم هذا البراز لا تعلو فيه كلمة ند على ند ولا يكون فيه
غالب ولا مغلوب

الفيرة : لو استجيب دعاؤك لعدت اشد بؤساً، ولقيت من جراء
هذا التزال عذاباً جديداً . لخير لك من ان تظلي بعده مهضومة

الحق مهتاجة بما يساورك من عوامل الحقد، مطالبة من غير
هوادة بموت من تحبين، لخير لك يا سيدي ان يعود لذريق
وافر العزة بما اوتيه من البأس متوج الرأس فتنزلي كظيمة
الغيظ على حكم النزال، ويكرهك الملك على ادراك ما تشتهين

شيان : أَجِدْكَ ! اذا فاز فهل تظنين انني استسلم ؟ لواجبي اسمي
وخسارتي اعظم من ان يتقيدا بحكم السيف او بأمر الملك .
يقدر لذريق على قهر دن سنش بلا عناء، ولكنه لا يقدر
على المساس بمجد شيان، ولست أبالي وعد الملك له . فان
صدق عزمي في الذود عن شرفي يجد له ألف عدو

الفيرة : احذري ان يحاسبك الله على هذه الكبرياء . فيأذن ان
ينتقم لك دن سنش . يا عجباً ! أظلمين ترغبين عن السعادة،
وتأبين ان يتسنى لك الامتثال مع سلامة الشرف، ماذا يريد
هذا الواجب، والى اين ينتهي امله ؟ أَيْمُوتِ عشيقك يُبْعَثْ
ابوك حياً ؟ أليل عليك ان تصابي برز، واحد ؟ وهل تلتمسين
غبناً فوق غبن، وحزناً فوق حزن . انك مع مجاراتك لطبعك
على ما يشاء من التبدل والتحول، لا تكونين جديرة بالعاشق
الذي يبتغونه لك قريناً، وقد نرى من سحق القدر - اذا
استجاب لك - آية تذهب بلذريق، وتدع لك دن سنش بعلأ

شيان : حسبي يا الفيرة ما اكابد من نوازع النفس، فلا تضاعفيها
بهذا التنبؤ الوبيل . ابغي لو استطعت ان اخلص منها

كليهما، والا فان آخر دعائي ان يظفر لذريق في هذا النزال
لا لأن فرط الهيام ينجح بي الى جانبه، ولكن خشيةً من مآلي
الى دن سنش . ومن هذه الخشية تتولد امنيتي . واشقوتاه !
ماذا ارى ؟ الفيرة، قضي الامر

المشهد الخامس

دن سنش - شيان - الفيرة

دن سنش : بكرهي القي على قدميك هذا السيف

شيان : ويلاه !! السيف المخضب بدم لذريق ؟

ايها الغادر اتجرو ان تظهر امام عيني بعد ان حرمتني احب
شيء لدي . أمط نقابك يا غرامي فما عليك اليوم من بأس .
رضي ابي وحسبك تكتماً . ضربة واحدة امننت شرفي، وأياست
نفسي، واطلقت صبابتي من سجن صدري

دن سنش : هديني جأشك

شيان : اتخاطبني بعد ؟ ايها القاتل البغيض لبطل اعبده، اذهب
فقد اخذته غيلة، ومثل ذلك المغوار الصنديد ما كان ليُقتل
بيد مبارز من طرازك . لا تُنط بي املاً ماء، ولا شكر على
خدمتك، فلئن زعمت انك انتقمتم لي لقد ازلت حياتي

دن سنش : ما اغرب هذه الفورة التي تُصمّها عن سماع...
شيان : أتبغني ان اسمع منك كلمات الفخر والتباهي، وان
اصبر على ما تذكره، في قحة وخيلاء، من وصف صرعته
وجريمتي وشجاعتك

المشهد السادس

دن فرنان - دن دياج - دن ارياس - دن سنش - دن النس - شيان - الفبرة

شيان : مولاي، برج الآن الحفاء بعد طول المجادلة، ولات
حين كتمان . كنت اهوى وتعلم سريري . غير انني صممت
على اباحة ذلك الرأس العزيز، للأخذ بثأر ابي، وقد رأيت
بعينيك يا صاحب الجلالة كيف اذلت غرامي لواجي، فالآن
مات لذريق وموته حوّلني من عدوة شديدة الى عاشقة مدلهة
كان هذا الانتقام ديناً عليّ لبري بوالدي، وهذه العبرات
اليوم دين عليّ لهواي . قضى عليّ دن سنش بتوليّه الذود
عني، أفأكون الجزاء لذلك الساعد الذي اودى بي ؟

فيا مولاي، اذا كان للشفقة اثر في نفس ملك، فرحماء،
وانقض ذلك العهد الذي ابرمته بكرهي، وقده مني مكافأة
على قتله عديل روحي ان اتخلى له عن كل ما لي . فليخطني

ونفسي اعتزل الدنيا في دير مقدس، وابكي الى آخر نسمة
من حياتي ابي وحبيبي

دن دياج : انها لمحبة يا مولاي، ولا ترَ جناحاً عليها ان تعترف
بغرامها المحلل

دن فرنان : شيان، عودي الى نفسك . لم يمت صاحبك، وانما غلب
دن سنش، ولم يصدقك النبأ

دن سنش : مولاي، انما خدعتها سورة نفسها، فقد جئت من الميدان
عقبى النزال، وكان ذلك البطل الكريم الذي يتم فؤادها
قد قال لي عندما اسقط السيف من يدي : « لا تحشَ نكيراً
سأدع النصر لا لك ولا عليك، ذلك خير من ان أريق دمًا
عُرض في سبيل شيان، وبما أن واجبي يدعوني الى المثل
لدى الملك فاذهب اليها واخبرها بما جرى، وألقِ على
قدميها حسام الظافر. » فبادرت اليها يا مولاي، ولكن رؤية
السيف اطارت لبها . ظننتني انا الفائز اذ رأيتني عائداً، وفاض
غضبها بما كشف عن سريرتها، فتكلمت، وقد ثارت ثأرتها
ووهى جلدها، ولم تمكني من الافضاء بكلمة اليها . على اني
وان كنت قد غلبت، أراني مغتبطاً، ومع ما يملأ جوانحي
من الهيام بها، ومع ما بُوتُ به، وقد خسرتها، من فشلٍ لا
يدرك مداه لست أقلى فشلي في جلاد كان من مغبته هذا الفوز
الباهر لذلك الهوى الطاهر

دن فرنان : يا بنيتي لا ينبغي ان تحجلي من مثل هذا الوفا . في
الحب ولا ان تعمدي لانكاره وان دعاك اليه الخفر . مجدك
مصون وشرفك سليم . وابوك راضٍ بكيفية منك انك ،
للاخذ بشأره ، عرضت لذريرك غير مرة للهلكة . فقد رأيت
كيف يتصرف الله بغير ما ننوي ، وقد فعلت كل شي . لأبيك ،
فافعلي شيئاً لنفسك . لا تعصي ما اتقدم به اليك وتقبلي مني
زوجاً تحبينه ذلك الحب

المشهد السابع

دن فرنان - دن دياج - دن ارياس

دن لذريرك - دن النس - دن سنش - بنت الملك - شيان - ليونورة - الفيرة

بنت الملك : كفكفي دموعك يا شيان وتلقي بلا حزن هذا الغالب
الكريم من يد أميرتك

دن لذريرك : لا يسؤك يا مولاي ان اجثو على قدميها في حضرتك
إطاعة لغرامي . لست ، يا سيدي ، بموقفي منك الآن مطالباً
بجزائي ، بل انا آت مرة اخرى لأقدم لك رأسي غير متذرع
لديك بحكم المليك ، ولا بشرع النزال ، فإذا كان كل ما عمل
اقل مما يجب لوالد ، فقولني بماذا استطيع ارضاءك . اتريد ان
اصارع ألفاً بعد الف من الشجعان ، وان أتبسط في فتوحاتي

الى اقاصي الدنيا، وان اقتحم بمفردي معسكراً، واهزم جيشاً،
وان أجزّ ببعده شهرتي ابطال السير . فإن كان ذنبي يُغسل
بتلك الفعال اضطلعت بكل امرٍ جسيم وأثبت بكل عجب
عجاب . اما اذا كان ذلك الشرف السنّي غلة لا تُبرّد إلا
بوفاتي، فلا تسلّحي عليّ بعد يد إنسي . بل هذا رأسي على
قدميك فانتقمي بيديك . ويداك وحدهما حقيقتان بقهر من لا يُقهر .
خذي من الثأر بما لا يستطيعه سواك، وعندئذ ليكفك عقاباً لي ان
يضحو ظلي . فإن أبعد، فلا تريدني بالسوا . بعداً، واذا ما
أتاح لك موتي صيانة لمجدك، فاجعلي جزائي الاحتفاظ بذكراي،
وقولي احياناً في أسفٍ عليّ : لولا هواه لما جاد بحياته

شيان : انهض يا لذريق . انني لأقرّ يا مولاي ان ما قلته اثبت
من ان استطيع له نقضاً . هيهات ان اقدر على مقت لذريق
وفيه تلك الفضائل . ومتى امر الملك وجب الامتثال . بيد
انه مهما يكن الامر الذي تسوموني، فهل بوسعكم ان تشهدوا
مثل هذا الزواج ؟ واذا الزمتموني من الاذعان ما ياباه
واجبي أفيمضي بذلك العدل كل العدل . ان اصبحت لذريق حاجة
للدولة فهل تعين عليّ ان اكون الجزاء لما يفعله في سبيلكم،
وان أعرض نفسي لتأنيب سرمد عليّ تخضيبي معصمي بدم والذي

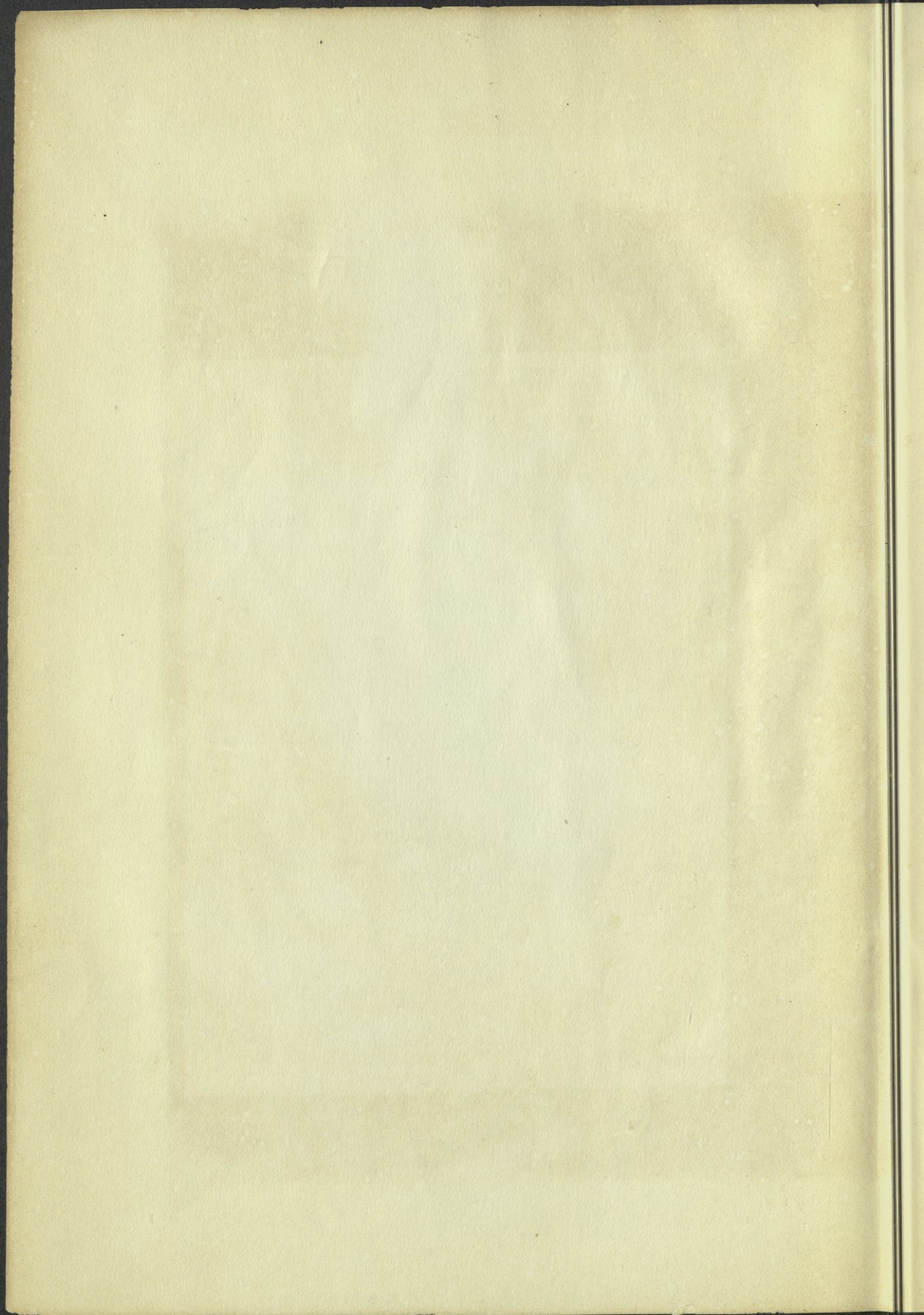
دن فرنان : كثيراً ما جرى أن الزمان هوّ ما كان صعباً، وأحلّ
ما عدّ حراماً . قد كسبك لذريق ويجب ان تكوني له .

ولكنني على ما ثبت من حقه لا اقف منك موقف غير
المكثّر، لما يوجبه سناء مقامك، ولا اتعجل في منحه ثمرة
انتصاره، فإذا أرجى القرآن فلا مخالفة، والحكم بالزواج لم يقيّد
بميقات، فلك مهلة سنة تكفكفين فيها عبراتك . وانت يا
لذريق عليك في هذه المدة ان تحمل السلاح . دحرت المغاربة
على شواطئنا، وعكست عليهم مراميهم وابطلت مساعيهم، فاذهب
الآن اليهم في نفس بلادهم وشنّ عليهم الغارات مؤمراً على
جيش موكلًا بانزال الشبور في اعدائي، ففي اسم السيد كفاية
بالقاء الرعب في قلوبهم، وقد دعوك مولى فرما ارادوك ملكاً .
ولكن الزم الوفاء لشيان اثناء صولاتك العظيمة . ثم عدّ، اعادك
الله غنائماً، اولى بها مما كنت ؛ اعلّ ذكرك وضاعف شأنك بحسن
بلائك حتى يصبح من الفخر لها يومئذ ان تقترن بك

دن لذريق : من اجل الظفر بشيان والقيام بخدمتك اي أمر، وان
جل، يتعذر عليّ إنفاذه، ومهما يشقّ عليّ بعدها عن عيني،
فحسي يا مولاي ان امسي على امل من رضاها

دن فرنان : نط أملك بشجاعتك، وكِلْهُ الى وعدي، فأما ومكانك
أعز مكان في قلب شيان، فخير حلّ لعقدة الشرف التي حالت
بينكما، ان تدع الزمن يفعل فعله، وان تعتمد على شجاعتك
وعلى مليكك





EX-8
MAY 80
S.D.

842.4:C81sA:c.2

مطران، خليل

السيد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032280

American University of Beirut



842.4

C81sA

C.2.

General Library

842.4
C81A
C. 2